السنة الثامنة عشرة   العدد ٣ آذار   ١٩٢٠

المشرق

الرتبة الكردينالية والكرادلة الشرقيون

درس تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في اوائل شباط من السنتين ١٩١٩ و١٩٢٠ حظينا بمشهد قلّما نظرت مثله اصقاعنا السوريّة في الاحقاب السابقة بل في القرون الغابرة حيث حلّ في ربوعنا رجلان من ارباب الدين لهم في بيعة المسيح ارفع رتبة بعد الحبر الاعظم في تدبير شؤون الكنيسة الرومانيّة والشعب المسيحي المنبثّ في كلّ اقطار العالم نريد بهما نيافة الكردينالين فرنسوا بورن رئيس اساقفة وستمنستر الانكليزي والسيد لويس ارنست دوبوا رئيس اساقفة روان الفرنسوي . مرّ علينا الاوّل مسرعاً بصفة غير رسميّة قبل عودته الى حاضرة بلاده فما كدنا نستبشر بقدومه حتى اسفنا على فراقه . امّا الثاني فقد قدم علينا رسمياً بصفة رسول السلام من قبل الكرسيّ الرسولي ودولته الفرنسويّة مصحوباً باسقفين جليلين اسقف مان واسقف غاپ . وكانت بيروت موعودة بتشريف نيافته منذ عدّة اشهر والقلوب تائقة الى مشاهدته عاشقة لشخصه الكريم قبل وروده لما بلغها من اوصافه الفريدة فلمّا رأته فاق الخُبر على الخَبَر . فما وطئت اقدامه ساحل بيروت في صباح يوم الاحد الواقع في غرّة شباط حتى اهتزّ البلد طرباً لقدومه وخفّت الجماهير المجمهرة الى استقباله بما امكن من مجالي العزّ والاكرام . وقد لاح وقتئذٍ بين ابناء الوطن من الائتلاف والوفاق ما أُثلجت به الصدور وقرّت العيون وقد نشرت الجرائد والصحف فصولاً واسعة في وصف ذلك الاستقبال الفخيم فاغنتنا عن التكرار

وكأني بالقرّاء الكرام يقترحون علينا مقالاً نبيّن فيه خواصّ الرتبة الكردينالية

ويسألوننا أنال احد من الشرقيين هذا المنصب السامي . فاجابةً الى هذا الملتمس افردنا هذه النبذة فنوردها خلاصة ما يُعرف عن اصل تلك الرتبة ومعناها ومزاياهـا مع ذكر من نالها من ابناء الشرق

١ اسم الكردينال

الكردينال لفظة محرّفة من كلمة لاتينيّة (cardinalis) هي نسبة لموصوف (cardo) يراد به محور الباب والحديدة التي يدور عليها فيكون المعنى المحوري او ذا المحور او المنوط بالمحور . ثمّ انتقلوا بالمجاز الى معنى الاصليّ والاساسي فقالوا الفضائل الكردينالية (vertus cardinales) يريدون بها الفضائل الاصلية الاربع اي القوّة والعدل والفطنة والقناعة كما دعوا الاعداد الاصليّة بالكردينالية (nombres cardinaux) ومثلها جهات العالم الاربع (points cardinaux) فلمّا ارادوا الدلالة على بعض الرتب الاصليّة في الكنيسة دعوها ايضاً بهذا الاسم

٢ اصل هذه الرتبة واختصاصها بالكنيسة الرومانية

ورد اسم الكردينال لاوّل مرّة في الربع الاوّل من القرن الرابع للميلاد في عهد قسطنطين والبابا القديس سلوسترس حيث يدعى بعض شمامسة كنيسة رومية باسم الكرادلة . ولنا في امضاء يوحنا احد شمامسة الكنيسة الرومانيّة شاهد آخر على ذلك فهذا كان على عهد البابا القديس دماسوس (٣٦٦—٣٨٤ م) وقد وقّع على تقرير باسم الحبر الاعظم بهذا الامضاء « انا يوحنا الشماس كردينال الكنيسة الرومانيّة »

على انّ هذا الاسم لم يكن مختصاً في القرون الاولى بالكنيسة الرومانيّة فكان شائعاً في الكنائس المختلفة يطلقونه على الشمامسة الانجيليين والكهنة المتعلقين بخدمة احد المراكز الدينيّة والكنائس الكاتدرائيّة بصفة ثابتة فيدعى صاحبها كردينالاً او ذا الوكالة (titulatus)

ومن الآثار المثبتة بذلك احد قوانين مجمع قيصريّة قبادوقية ذكره البابا القديس زكريّا (٧٤١ — ٧٥٢) في رسالته الى بابين القصير ملك فرنسة سنة ٧٤٨ وهذا تعريبه : « يجب على كهنة القرى الخضوع للاساقفة وللكهنة الكردينالية »

فلادراك معنى ذلك ينبغي ان تعرف نظام كنائس المدن قديمًا لاسيّما المدن الكبرى . فانَّ الاسقف كان محاطًا بعدد من الكهنة والشمامسة يعضدونهُ في رئاسته الرعائية فيعهد الى كلّ واحد منهم خدمة قسم من المدينة وهم غالبًا يعيشون في دار الاسقفيَّة ويستشيرهم في امور الكنائس الراجع حكمها الى تدبيره في الولاية . وقد بقي مثل هذا النظام في كنائس الشرق الى ازمنتنا

٣ النظام الكردينالي في الكنيسة الرومانية

انَّ الكنيسة الرومانيَّة لقدم عهدها واتصالها بالرسل الكرام قد سبقت كل الكنائس الى النظام الذي ذكرناهُ آنفا . فقد جاء في اقدم كتاب دُوّنت فيهِ اعمال الاحبار الرومانيين منذ قرون النصرانيَّة الاولى وهو الكتاب المعروف بالحبري (Liber Pontificalis) الذي سعى بطبعهِ المنسنيور دوشان (Mgr. Duschesne) في الجزء الاول (ص ١٢٢) انَّ القديس كليتوس الخليفة الثاني لبطرس الرسول رسم ٢٥ كاهنًا بامرهِ وقبل استشهادهِ ليقوموا في خدمة إمام الاحبار . وجاء هناك (ص ١٢٦) انَّ القديس البابا افارستوس وهو الرابع بعد هامة الرسل (٩٦ — ١٠٠ م) وكان من بلادة السوريَّة قسَّم مدينة رومية الى عدَّة رعايا جعل على كلّ رعيَّة منها كاهنًا وشماسًا لتدبيرها . ويقال فيه (ص ١٤٨) انَّهُ اقتفى ببطرس الرسول الذي اقام سبعة شمامسة في رومية لخدمة رئيس الكنيسة . وامرهم بان يحدقوا بالاسقف اذا خطب واعظًا . ثم عهد اليهم البابا القديس فابيانوس (٢٣٦ — ٢٥٠) ادارة شؤون المؤمنين ومساعدة الفقراء في سبعة احياء رومية وكلّما ورد ذكر هؤلاء الكهنة والشمامسة أُطلق على مهتهم اسم الوكالة (titulus) وصاحبها يدعى ذا الوكالة (titulatus) او ذا المحرريَّة (incardinatus) . ومن الآثار المثبتة لاسماء الكهنة المذكورين توقيعهم على المجمع الروماني الذي عُقد في غرَّة آذار سنة ٤٩٩ فهم ٢٥ عدًا وقد ورد مع اسمائهم اسم الأحياء التي عُهدت الى نظارتهم وكانوا متوطنين بكنيسة مار يوحنا اللاتراني التي هي بين كنائس رومية العديدة مركز كرسي الحبر الاعظم ولذلك تدعى بام كنائس المعمور ورأسها

٤ درجات الكردينالية الثلاث

ثبت في الفصل السابق انَّ كنيسة رومية كانت حاصلة على الرتبة الكردينالية يتولَّاها بعض الشمامسة والكهنة المحدقين بشخص الحبر الروماني فيلوح من ذلك انَّ تلك الرتبة كانت ذات درجتين . اي كرادلة شمامسة وكرادلة كهنة . ثمَّ اتسعت دائرة اعمال الكنيسة الرومانيَّة وزاد نفوذها جيلًا بعد جيل . فاضطرت زيادة الاشغال ليس فقط الى زيادة عدد الكرادلة الشمامسة الذي بلغ اربعة عشر وعدد الكرادلة الكهنة البالغ اليوم الى خمسين بل اوجبت ايضًا الى اضافة بعض الكراسي الاسقفيَّة القريبة من رومية او في ارباضها -- (évêques suburbicaires) . واوَّل اثر ورد فيه ذكر الكرادلة الاساقفة كان في عهد البابا اسطفانوس الثالث سنة ٧٦٧ . وهذه اسماء الكراسي التي خُصَّت بالرتبة الكردينالية: أُوستية وبورتو والبانو وفرسكاتي وپالسترينة وسابينه . فان هذه المدن يجلس على كراسيها اساقفة كرادلة . وبهم يبلغ عدد الكرادلة سبعين على عدد السبعين تلميذًا الذين ذكرهم القديس لوقا في انجيله (ف ١٠) وذكرًا السبعين شيخًا الذين دعاهم موسى الكليم لمساعدته في القضاء على بني اسرائيل (سفر الخروج ف ١٨)

على انَّ هذه الدرجات لم تدلّ فقط على مجرَّد الخدمة او مجرَّد الشرف بل كانت في الكنيسة الرومانيَّة منذ اعصار الكنيسة الاولى تشير الى رئاسة ورتبة سياسيَّة فانَّ الاكليروس الروماني كان كحاشية الحبر الاعظم يمثّل بعيته السلطة الكنائسيَّة وكان اذا توفي البابا هو الذي يتولَّى تدبير الكنيسة الى ان يقام خلفٌ للمتوفَّى . لنا على ذلك عدَّة شواهد قديمة منها رسالة الاكليروس الروماني وجَّهها كهنته وشمامسته يوم فراغ كرسي رومية الى القديس قبريانوس رئيس اساقفة قرطجنَّة يحلُّون فيها بعض المشاكل الحاصلة بسقوط قوم من الجاحدين للايمان في ايام اضطهاد دقيوس سنة ٢٥١ ثم أُرسلت تلك الرسالة الى كل كنائس العالم ليتوموا بموجبها

واعلم انَّ الدرجات الكردينالية الثلاث لا تدلُّ على انَّ الكردينال الشماس ليس بكاهن او ان الكردينال الكاهن ليس باسقف وانَّما هي تدلُّ فقط على انَّ المقامات الدينيَّة في رومية في القرون الاولى كانت في عهدة احد الشمامسة او احد

الكهنة . فان الكردينال غالباً اسقف سواء كان من رتبة شماس او من رتبة كاهن فان نيافة الكردينال يورن مع كونه رئيس اساقفة وستمنستر هو فقط كردينال كاهن ومثله نيافة الكردينال دوبوا . ويجوز ان يُمنح النصب الكردينالي لمن لم يتّسم بغير الدرجات الاكليريكية المعروفة بالصغرى فلا يكون الا من درجة الشمامسة

٥ الرتبة الكردينالية منذ القرون الوسطى

بلغ الاحبار الرومانيون اوج الرفعة والعزّ في القرون الوسطى بعد ان اقطعهم بابين القصير ثم شرلماني الاقطاعات الواسعة وملّكوهم عليها . فأضحت اذ ذاك رتبة الكرادلة اعظم فخراً وارفع شأناً . فكان الحبر الروماني يستخدمهم في كلّ مهامّ الكنيسة فيرسلهم سفراء الى الملوك ويجعلهم نواباً عنه في المجامع المنعقدة خارجاً عن رومية ويفوّض الاساقفة منهم ان يقيموا الحفلات الدينية في كنيسة مار يوحنا اللاتراني الملكية كلّ واحد بنوبته . واخصّ ما اسند الى الكرادلة انتخاب الحبر الروماني عند فراغ الكرسي الرسولي بوفاة صاحبه او باستعفائه منه لا عنه برضاه كما فعل القديس سلستينوس الخامس . وهذه النعمة خوّلهم اياها البابا نيقولاوس الثاني سنة ١٠٥٩ بعد ان كان يتمّ ذلك الانتخاب بواسطة الاكليروس والشعب الروماني وانما استثنى منهم الكرادلة الذين لم يقبلوا درجة الشماسة الانجيلية . ومنذ القرون الوسطى صار اسم الكردينال مختصاً بالكنيسة الرومانية دون سواها . وقد شرّف منهم كثيرون عالم الدين والدنيا كالقديسين بطرس دميان وبوناونتورا والتابعيين بارونيوس وبلرمينوس اليسوعي

٦ تنصيب الكرادلة

تنصيب الكرادلة محفوظ للحبر الروماني وحده لا يقيمهم سواه . فهو يقلّدهم ذلك المنصب اين ومتى وكيفما شاء . كما يرى الامر مناسباً . لكنه عادةً يأخذ في ذلك رأي المجلس الكردينالي . ويجري في انتخاب المرشحين لذلك المقام بموجب قوانين سنّها الاحبار السابقون لانتخاب رؤساء الكنائس واركانها فلا يدعو الى هذه الرتبة الا من امتاز بالفضل والفضيلة او اشتهر بعلمه وخدمه الكنيسة . ومن ذلك

ما نعى به البابا سكستوس الخامس عن منح الرتبة الكردينالية لمن لم يبلغ السنّ القانوني اي ٢٢ للكرادلة الشمامسة و٢٥ للكرادلة الكهنة و٣٠ للكرادلة الاساقفة

واذا عيّن البابا احداً الرتبة الكردينالية يُعلن به رسمياً في احدى جلسات حاشيته العمومية (Consistoire) ومذ ذاك يُنظم في سلك الكرادلة وينال كلّ امتيازاتهم ولو كان بعيداً . واذا حضر جعل على رأسه القلنسوة القرنة الحمراء مع القبعة الحمراء وجعل في اصبعه خاتمًا من الياقوت وخصّه باحدى كنائس رومية - فانّ الكردينال بورن جُعلت وكالتهُ على كنيسة القديسة پودنسيانة الشهيدة والكردينال دوبوا على كنيسة مريم المثبّة بأكويرو - ومن العادات الجارية عند حضور الكردينال الجديد ان الحبر الاعظم يفتح شفتيه ويطبقهما اشارة الى ما يُنتظر منهُ من حسن المشورة ومن الفطنة في الكلام وحفظ اسرار المجلس البابوي

وربما اختار البابا لمنصب الكردينالية احد المرشحين دون ان يصرّح باسمه جهاراً وانما يشير اليه فقط ريثما يعلن به . وهذا المختار يقال لهُ كردينال سرّي (in petto) وهو لا يُنظم في قلادة الكرادلة حتى يعرّف به البابا علانيةً . واذا مات الحبر الاعظم قبل التصريح باسمهِ عُدّ انتخابهُ مُلغى

ومما يجدر بالذكر انّ البابوات مع حريتهم التامة في ترشيح الكرادلة قد منحوا سابقاً للملوك الكاثوليك ان يرشحوا بعض اهل دولهم الى الكردينالية فيخولهم رئيس الكنيسة هذه الرتبة اكراماً لهم ليكونوا قريباً من الكرسي الرسولي ويتوكلوا بامور دولتهم لديهِ . والدول المذكورة اربع فرنسة والنمسة واسبانية والبورتغال . فيدعونهم لذلك بكرادلة الدول (Cardinaux de Curie) وقد لعب هؤلاء الكرادلة دوراً مهماً في انتخاب البابوات . امّا اليوم فقد بطل نفوذهم السابق . فيختار الاحبار الرومانيون لرتبة الكردينالية من شاؤوا من جميع الدول دون مداخلة الامراء والملوك

٧ امتيازات الكرادلة وشاراتهم

ان منزلة الكرادلة في الكنيسة في معيّة الحبر الاعظم ومشاطرتهم الاهتمام بشؤون الدين في كافة العصور قد جعلتهم في مقام رفيع فوق كلّ الرتب الكنسية

فيتقدمون على سائر درجاتها من كهنة واساقفة وبطاركة وذلك حتى في المجامع المسكونية ولو كانوا شمامسة فقط كما اشار اليه البابا اوجانيوس الثالث (١١٤٥–١١٥٣ م) ثم اثبته لاون العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) . وخصّهم اينوشنسيوس الرابع (١٢٤٣ – ١٢٥٤) بالقبعة الحمراء منحها المرشحين من الاكليروس العالمي ثم عمّ بها ايضا المرشحين من الاكليروس القانوني البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ –١٥٨٥) واضاف اليها البابا بولس الثاني (١٤٦٤ – ١٤٧١) البردة الحمراء اشارةً الى ما يُطلب منهم من تضحية الذات والتفني في حبّ الله وخدمة الكنيسة . وامر اوربانوس الثامن سنة ١٦٣٠ بان يُدعوا بالنيافة والسيد الكلي النيافة

ومن امتيازات الكرادلة ان يُعتبروا في بلاط الملوك كأمراء الدولة فهم من الاكرام ما لهؤلاء . ثم لكل كردينال شعار خاص (آرمة) يمتاز به وهو يرمز الى بعض احواله . ومن امتيازات الكرادلة ايضاً انّ الدعاوي عليهم لا تُرفع الا للكرسي الرسولي فله وحده الحكم عليهم في الجنايات وغيرها . ومنها ايضاً انّ المتعدّي عليهم يقع في الحرم الذي لا يستطيع حلّه غيرُ الحبر الاعظم . واذا مات احدهم جاز للاقدم بينهم منذ انتخابه ان يطلب كرسيّ المتوفّى ولو كان من درجة الشمامسة او الكهنة فيستثنى الا الكردينال رئيس اساقفة مدينة اوستية الذي له الشرف على الجميع فانّ كرسيّه لا يمنح اليه سوى اقدم الكرادلة الاساقفة لانّ صاحب هذا الكرسي يُعدّ كرأس الكرادلة . واذا وقع الانتخاب لرئاسة الكنيسة على من لم يُرسم بعد اسقفا عاد الشرف برسامته الى كردينال اوستية وحده

وفي مقدّمة هذه الامتيازات كما سبق اختيارهم للاحبار الرومانيين وذلك على حسب قوانين وشروط يجب عليهم مراعاتها . وقد افردنا لها فصلاً واسعا في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٦٧٨ و ٧٢٧) عليك به

فمن كلّ ذلك ترى ما للرتبة الكردينالية من الرفعة والشرف . ومن اعظم فوائدها انها من اكبر اسباب الوحدة والوفاق بين الامم المختلفة والبلاد النازحة وبين مركز الايمان فاصحابها يمثلون الحبر الروماني حيثما يكونون وينوبون عنه في اوطانهم ولدى حكوماتهم وبذلك تزيد الروابط وثاقاً بين الرعايا والراعي الاكبر

٨ الكرادلة الشرقيون

سمعنا غير مرة بعض الوطنيين يقولون : ما بال الحبر الاعظم لا يجعل نصيباً في ادارة الكنيسة الجامعة لاهل الشرق فيختار منهم كرادلة . فقد سها هؤلاء وفاتهم انّ عدد الكاثوليك الشرقيين بالنسبة الى كاثوليك العالم لا يكادون يُعدّون الّا كالواحد بالنسبة الى الستمائة ومع ذلك اذا برز البعض منهم بفضلهم واعمالهم فلا مانع من ترقيتهم الى تلك الرتبة بل الى رئاسة الكنيسة جمعاء . ولنا في التاريخ ما يؤيد هذا القول

فانّ الشرق تشرّف بتقليد رئاسة الكنيسة الى خمسة وعشرين من ابنائه اولهم القديس بطرس هامة الرسل وآخرهم اسطفانس الرابع المتوفى سنة ٧٧٢ اصلهم سوريون او يونان وردت تراجمهم في اعداد مجلة الكنيسة الكاثوليكية لسنتها الثانية (١٨٨٩) . ولولا انفصال الطوائف الشرقية عن الكنيسة الرومانية لكان هذا العدد اعظم

امّا الكرادلة الشرقيون فان اعتبرنا خدمتهم لكنيسة رومية في جملة الاكليروس الروماني في القرون الاولى وجدنا عدداً عديداً منهم والدليل عليه من أُقيم منهم لإمامة الاحبار اذ ليس بالمعقول ان يُختار احد لتدبير الكنيسة الّا ان يكون في دائرتها قريباً منها اللهمّ الّا نادراً

امّا بعد تنظيم الرتبة الكردينالية بموجب قوانين الكرسيّ الرسولي في القرن الحادي عشر وصاعداً فانّنا نجد ثلاثة من الشرقيين او بالحري من الطوائف الشرقية نالوا تلك الرتبة وهم الكردينال بساريون اليوناني وايسيدورس الرومي وحسّون الارمني ودونك لمحةً من سيرتهم

❊ الكردينال بساريون ❊ ولد في طرابزون سنة ١٤٠٣ وانكبّ منذ حداثة سنّه على الدروس الدينيّة والادبيّة في جزائر اليونان ثم في القسطنطينيّة فاخذ العلوم من مشاهير زمانه حتّى برع فيها ثم زهد في العالم وترهّب لكنّ صفاته الحسنة وبلاغة لسانه وبراعته في تدبير الامور ألفتت اليه نظر ملك الروم يوحنّا باليولوغ فعهد اليه بمهامّ مختلفة قام بها احسن قيام فتعيّن اولاً رئيساً على ديره ثمّ نيطت به

رئاسة اسقفية نيقية سنة ١٤٣٦ . ولما عُقد المجمع الفلورنتيني (١٤٣٨–١٤٣٩) كان بساريون في مقدّمة الدافعين عن الاتحاد بين الكنيستين الغربية والشرقية لم يأل في ذلك جهدهُ حتى نهاية المجمع . فاحبَّ الحبر الاعظم اوجانيوس الرابع ان يثيبهُ عن حسن جهادهِ فرقّاهُ الى رتبة كردينال كاهن مع وكالة كنيسة الرسل وذلك في ١٨ ك ١ ١٤٣٩ . واقامهُ بطريركاً على القسطنطينية . تخصص مذ ذاك الحين نفسهُ لكل ما يؤول الى خير الكنيسة ووطنهِ المرزإ فجد وكد ليخلص القسطنطينية من الخطر العثماني قبل الفتح وبعدهُ . ثمَّ خدم الكرسي الرسولي بسفارات عديدة الى الملوك على عهد ثلثة احبار رومانيين . وكان لبساريون مقام رفيع بين الكرادلة فلما مات بابا في ايامهِ بعض الباباوات نال مرتين عدة اصوات ترشحهُ لرئاسة الكنيسة جمعاء .

وكان من اكبر الساعاة في النهضة الادبية ورقي العلوم في ايطالية في اواسط القرن الخامس عشر وقد ابقى من الآثار اللاهوتية والفلسفية والادبية ما يخلد ذكرهُ في التاريخ . وكان علماء زمانهِ يتزاحمون على بابهِ ليستقوا من موارده . وقد خلّف مكتبة واسعة كانت تحتوي اعز المخطوطات وابدعها في اليونانية واللاتينية فاورثها مدينة البندقية قيل انهُ كان انفق عليها نحو ٣٠،٠٠٠ ليرة . توفي بساريون في راڤنة في ١٨ ت ٢ ١٤٧٢ ضحية غيرتهِ في خدمة الكرسي الرسولي ثم نقلت جثتهُ الى رومية ودفنت بحفلة كبيرة في كنيسة الرسل التي كان رممها وزينها

❊ الكردينال ايزيدورس ❊ كان مولدهُ في اواخر القرن الرابع عشر في سالونيك على الاصح ودرس في مدارس القسطنطينية . وهو يشبه اتم الشبه معاصرهُ الكردينال بساريون في سيرتهِ وفضلهِ وعلمهِ . لبس الاسكيم الرهباني في دير القديس دمتريوس وترأس عليهِ . وفي السنة ١٤٣٧ عهدت اليهِ رئاسة اسقفية كياف وسائر روسية فادارها بكل حكمة وافرغ الجهد في انضمام الكنيستين الشرقية والغربية في المجمع الفلورنتيني الذي كان مع بساريون احدث واعظم اركانهِ بين الروم فرقّاهُ الحبر الاعظم اوجانيوس الرابع الى الرتبة الكردينالية مع بساريون . ثم رجع الى روسية واعلن في موسكو باتحاد الكنيستين لكنَّ قيصر روسية ڤاسيلي الثاني المعروف بالضرير امر بحبسهِ في بعض الاديرة وبقي هناك الى سنة ١٤٤٣ حيث

امكنه ان ينجو بنفسه ويعود الى القسطنطينية فاستكشف هناك بكل قواه في نجاة عاصمة الروم من ايدي بني عثمان . ولما استولى عليها محمد الثاني سنة ١٤٥٣ اقلع الى ايطالية وعاش منقطعاً الى الصلاة والدرس والاعمال الدينية وقد قلده بيوس الثاني عدة امتيازات شرفية واقامه رئيس اساقفة على قبرس . وتوفي في رومية في ٢٧ نيسان سنة ١٤٦٣ . ومن آثاره رسالتان جميلتان في فتح القسطنطينية ونجاته من ايدي الاتراك

﴿ الكردينال انطون حسّون ﴾ ولد في حلب ودرس في مدرسة انتشار الايمان في رومية ثم أرسل الى الاستانة لخدمة الارمن الكاثوليك فاختاره رئيس اساقفة الارمن السيد بولس ماروش كاتب اسراره ورسمه مطراناً شرفياً على عين زربة سنة ١٨٤٢ ثم خلفه بعد وفاته في ٣ آب سنة ١٨٤٦ وكان الارمن الكاثوليك في الاستانة تحت رعايته بخلاف بقية الطائفة التي كانت خاضعة لبطريرك قيليقية المقيم وقتئذٍ في بزمار (لبنان) . فلما توفي في هذا الدير البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن سنة ١٨٦٦ وقع اختيار الاساقفة على السيد انطون حسّون فانحة الكرسي الرسولي درع التثبيت ونقل الحبر الاعظم بيوس التاسع الكرسي البطريركي من بزمار الى الاستانة لتتم هناك سلطته على جميع الارمن الكاثوليك فرضي الاساقفة بذلك سنة ١٨٦٧ لولا ان بعض اصحاب الفتن ابوا له الخضوع والتجأوا الى الدولة التركية فأيدتهم في عصيانهم وسلمتهم كنائس واديرة الطائفة في ممالكها فكان لذلك اسوأ وقع وحصل به شقاق اضطر الحبر الاعظم ان يضرب بالحرم زعيم العصاة جان كوبليان وانصاره . ودام الشقاق نحو ١٢ سنة التجأ في اثنائها السيد البطريرك الى رومية فسكنها الى ان خمدت تلك الثورة بمساعي الدولة الفرنسوية وعاد البطريرك حسّون الى كرسيه ورجع معظم المتمردين الى الطاعة . ولما كانت السنة ١٨٨٠ اراد الحبر الاعظم لاون الثالث عشر ان يمنح الارمن الكاثوليك عربوناً عن انعطافه وحبه لهم فاستدعى السيد انطون حسّون الى رومية ورقاه الى رتبة الكردينال فتنزل عن البطريركية التي خلفه فيها السيد اسطفان عزاريان . وبقي الكردينال حسّون في رومية مهتماً بتدبير امور الدين مع جمعية الكرادلة الى وفاته سنة ١٨٨٤

فقد تشرّف الشرق بهؤلاء الثلثة الكرادلة الذين يُعدُّون كثلاثة اقمار في فلك الكنيسة الرومانيّة

وممّا يحقّ للشرق ان يفتخر به في هذه المدّة الاخيرة ارتقاء بطريرك القدس اللاتيني السيّد كامَّاسِي الى المنصب الكردينالي فهذه نعمة منحة ايّاها الحبر الاعظم الثالث عشر اراد بها اكرام الشرق وتعظيم الكرسيّ الاورشليمي فضلاً عن مكافأة السيّد المومأ اليه الذي استحقّ ذلك بفضيلته وفضله على ابناء ابرشيته لاسيّما في ايّام الحرب العموميّة فترقّى الى نباهته تهانئنا مع تهاني الوطن العزيز

كتاب الكُتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

وهذا باب الممدود والمقصور

١ شروط الممدود وتمييزه من المقصور

اعلم انّ الممدود كلّ كلمة آخرها همزة بعد الف . وقد تكون هذه الهمزة اصليّة وتكون مُبدَلة من حرف لين وتكون زائدة وهنّ في الكتاب سواء اذا اتّصلنَ بما بعدهنّ وهنّ مختلفات اذا انفصلنَ واعلم (ج ١) انّ الممدود والمقصور كليهما مُردفان في اللفظ بحروف العلّة وانّما يُميَّز احدهما من الآخر بنظائرهما من الصحيح فما كان من المقصور مصدرًا كالهوَى والعمَى اعتُبر بنظيره من المصادر الصحيحة وبأفعاله كالسّهر والفرَح لأنّ بناء افعالها واحد تقول هَوِيَ يهوَى هوًى وعَمِيَ يعمَى عمًى كما تقول سهِر يسهَر سهرًا وفرِح يفرَح فرحًا . فان لم يكن قبل آخر الصحيح ألِف كان

نظيره من مصدر المعتل مقصورًا. وما كان من الممدود مصدرًا كالدُعاء والعُواء، اعتُبر بنظيره من المصادر الصحيحة كالصُراخ والنُباح. فان وُجد قبل آخر مصدر الصحيح ألف كان نظيره من مصدر المعتل ممدودًا. وما كان كالاشتراء والاستعداء، اعتُبر بمثل الاشتراك والاستعطاف لانهما على بنائهما. وما كان صفة كالمُعطى والمُشترى اعتُبر بنظيره من الصفات الصحيحة كالمُدخَل والمُعتبَر. وما كان كالعزاء، اعتُبر بمثل القتال. وما كان كالعطاء، اعتُبر بمثل الخلاف. وما كان واحدًا مثل قفى ورحى اعتُبر بجمعه كاقفاء وارحاء، وبنظيره من الصحيح مثل حجر واحجار وسبب واسباب. وما كان مثل قفاء وعطاء ورداء (٢١) وبطاء، اعتُبر بجمعه كاقفية واعطية واغطية وارديَة وبنظيره من الصحيح ككتاب وامثلة وحمار واحمرة وشراب واشربة وطعام واطعمة. فان كان جمعًا كاعداء وارحاء، اعتُبر بواحده مثل رحى وهوى وما يشبهه من الصحيح. وما كان مثل حمراء وسكرى صفة للمؤنث استُدل عليه بمذكره كاحمر وسكران. وما كان كالعُرا واللُحى جمع عُروة ولحية اعتُبر بنظيره من الصحيح مثل غُرفة وغُرف وقربة وقرب. وربما شذ الشيء من الممدود والمقصور عن القياس ولشُغل عن شذوذه فيؤخذ بالسماع من اهل اللغة. وليس علم المقصور والممدود من جنس هذا الكتاب فنستقصيه ولكنه يتعلق بالهجاء كما يتعلق به ولكل باب منه ابواب كثيرة من العربية لا يجوز ادخالها معه في التاليف وانما يُطلب معرفة ذلك من معدنه.

٢ المتطرّفة مدّته غير المتّصلة بما بعدها

والمتطرّفة شبيهة بالهمزة المتطرّفة بعد حرف ساكن صحيح لأنّ (١٤١) الالف لا تكون الا ساكنة وحقّ هذه ألا تثبت في الكتاب ما دامت كلمتها منفصلة كقولك: هذا عطاءٌ ومررت برجاء وهو الزيباء والزِنا والقرّاء في لغة من مدّهن وهي الخضراء وهؤلاء، وهاءَ يا رجلُ اي هاك وهاءِ يا امرأةُ اي هاكِ وهو يشاء وما اشبه ذلك من المعجم كالباء والفاء والخاء والثاء. وانما وجب حذفها اتباعًا للفظ لأنها لا تثبت فيه عند الوقف. والهجاء موضوعٌ على الوقف كما قلنا الا ان تكون منصوبة منوّنة فيلحقها ألف الوقف بدلًا من التنوين فتحذف اللاحقة وتُرَدّ الهمزة

لأنّ اثبات الاصل أولى من اثبات الزائد فيكتب حينئذ بالفين لئلا تكثر الاشباه كقولك : رأيتُ غطآاً وسمعتُ ندآاً وكتبتُ بآاً وتآاً (١)

٣ المتصلة مدّتهُ بعلامات الضمير

فان لحقتها علامة إضمار كُتبت في حال الرفع والجرّ على حركتها مثل : هذا غطآؤنا ومررتُ بحِجآئِكَ . ومثله : هاؤلآئك وهو يَشآؤه (14") لأنّ الوقوف عليها قد زال عنها إذا لحقهـا ولم تثبت في حال النصب كراهية اجتماع الالفين وذلك مثل : اخذتُ غطآءك ولبستُ رِدآءك

٤ المتصلة مدّتهُ بعلامة التثنية

واذا لحقتها التثنية كُتب ما انقلبت همزتهُ منها واواً في اللفظ على لفظه واواً كقولك : هاتان حمراوان ورأيت سوداوين ولم يُكتب ما لم تتغيّر همزتهُ في اللفظ عن لفظها شيئاً مثل : هذان غطآأن ورِدآأن وهما طآأن وظآأن واخذتُ غطآءين ولبستُ رِدآءين وكتبتُ بآءين وتآءين . والالف الثانية في المرفوع كالياء في المنصوب وهما للتثنية والهمزة محذوفة كراهة اجتماع الألفات

٥ المتصلة مدّتهُ بعلامة الجمع

وان لحقتها علامة الجمع حُذفت في الرفع كراهة اجتماع الواوين فكُتبت (15") هؤلآء . غطآؤن وسَقّآؤن . ولأنهُ لا يلتبس بشيء لا تُحذف في النصب ولا الجرّ لئلا تُشبه التثنية وذلك كقولك : رأيتُ سقّآئين ومررتُ بالرفّآئين

٦ المتصلة مدّتهُ بعلامة التأنيث

واذا لحقتها علامة التأنيث حُذفت لأنّ ما قبل هـآء التأنيث مفتوح لو كُتبت لوجب اثباتها ألفاً لفتحتها فكره اجتماع الالفين وذلك مثل السَّقّآءة والقرّآءة وهكذا قياس كلّ ممدود فلم تذكر الأ ما شذّ عن القياس

---

(١) والمصطلح عليه اليوم عند النحاة ان تكتب هذه الهمزة دون ألف . وربّما استغنوا عن المدّة فيكتبون رِداءً رِجاءً رَجاء

الباب الثالث

وهذا باب القصر والمقصور

١ شروط المقصور واصنافه وتمييز ذلك

المقصور كل كلمة آخرها ألف لا غير وهي ثلثة اصناف : صنف منقلب من الواو وصنف منقلب من الياء وصنف ليس من واحد منهما غير انه يجري مجرى احدهما . ومعرفة ذوات الواو من ذوات الياء تكون من وجوه منها ان تحمل الفعل الثلاثي من الكلمة المقصورة ان كان (° ٤٥) لها فعل فان الواو والياء يظهران في مستقبل الفعل كقولك : يغزو ويرمي وفي ماضيه اذا حصل فاعله ضمير المتكلم والمخاطب كقولك : غزوتُ ورميتُ . ومنها ان يثنّى الاسم المقصور ان كان واحدا فتظهر الواو والياء كقولك : رحيان وقنوان او يُجمع بالالف والتاء كقولك في حصى : حصيات وفي قطا : قطوات . او يُرَدّ الى واحده ان كان جمعا كقولك في القرى والحلى والرشا والعرا : قرية وحلية ورشوة وعروة . فاما ما لا يُجمع ولا يثنّى ولا يُصرف له فعل ولم تنقلب ألفه من واو ولا ياء فيستعان بما فيه من تفخيم او إمالة في لسان العرب وعلماء اللغة وبين ذلك مما ليس هذا موضعه

٢ ذوات الألف المنقلبة من الواو

وكل كلمة على ثلثة احرف ثالثها ألف منقلبة من واو يجب كتابتها بالالف على لفظها دون معناها استثقالا للواو اسما كانت او فعلا نحو : دعا وزكا وشأا وعفا من قولهم : شأوتُ وعفوتُ . والرجا والربا والقطا والرشا والخطا . فان كان شيء من ذلك بمنزلة « على » الخافضة (° ٤٦) لم يكتب الا بالياء من اجل انها تصير في اللفظ مع المضمرات ياء كقولك : عليك وعليّ وعليه . فاذا اتصلت بها الاستفهام كُتبت على لفظها الفا وبيان ذلك يأتي في غير هذا الموضع ان شاء الله

٣ ذوات الألف الجارية مجرى المنقلبة من الواو وليست منها

وكل كلمة على ثلثة احرف او حرفين آخرها ألف لم تنقلب من واو او ياء ولم تكن فيها إمالة في اللفظ ولم تجرِ ألفها مع المضمرات ياء وجب اثباتها على لفظها بالالف وإجراؤها مجرى ما انقلبت ألفه من واو لانهما يكتبان على اللفظ وذلك في الاسماء المضمرة والمبهمة وحروف المعاني كأنا واذا وهلا والفرس اوه وها ونحوها

٤ ذوات الألف المنقلبة من الياء

وكل كلمة على ثلثة احرف ثالثها ألف منقلبة من ياء تكتب (١٦ ب) بالياء على معناها دون لفظها ليُفصَل بينها وبين المنقلبة من الواو اسما كانت او فعلا مثل: مَنَى وسَعَى ورَمَى وبَكَى والحَصَى والرَّحَى والحَلَى والقِرَى والرِّنَى والثَّوى والبِطَى اذا كنّ مقصورات. فان وُصل شيءٌ من هذا بعلامة ضمير كُتب على اللفظ لتوسّطه وزوال الوقف عنه وذلك مثل حلاها وبكاكَ ورحاه وحصاهُ وقد قضانا ورآهم ونحو ذلك

ذوات الألف الجارية مجرى المنقلبة من الياء وليست منها

وكل كلمة على ثلثة احرف او حرفين آخرها ألفٌ لم تنقلب من واو ولا ياء ولكن اللفظ بها امالة (١ او تجيء ألفها مع المضمرات ياء في اللفظ وجب اثباتها على الياء وان لم تنقلب منها للفرق بينها وبين ما خالفها وانما يكون ذلك في الاسماء المضمرة والمبهمة ونحوها من الظروف وحروف المعاني مثل: لدى والى تقول: لديك واليك. ومتى وبَلى لانهما تمالان. وعُزّى في لغة من قصرها كقول الاعشى:

عُزّى لم عزّ لاتخذته [illegible] تحدوها [illegible]

(١٧ أ) وهم الأولى فعلوا كذا وكذا. وليست هذه الأولى التي في عزّى لان تلك لا يدخلها الالف واللام. واما ما كان من حروف المعجم مما اذا تهجّي قُصر مثل: با تا ثا الى آخرها فانها تكتب بالالف لانها في الاصل ممدودة وتقصرها

---

١) كذا في الاصل ولعلّ الصواب: إمالةٌ

الوقفُ في اللفظ وانّما ألِفها وَسَطها وآخِرُها قد سقط . وانّما أُميلت لأنّها من بنات الياء. فجازت إمالتُها في الوقف والوَصل وكذلك يُكتب يا في النداء. بألِف وإن كانت قد تُمال لاجتماع الياءَين. وامّا ذا فتكتب بألف وهي تُمال لأنّ ألِفها وَسَطها وآخِرُها محذوف ولئلا يلتبس بذي المؤنّث . وكذلك تا للمؤنّث لأنّ ألِفها وَسَطها ولئلا تُشبه تي في اللغة الأُخرى. وكذلك ان دخلت الباء والكاف عليهما فقلت : بذا وبتا وكذا وكتا

٦ المتحرّكة من ذوات الواو والياء وما ليس منها

وكلّ كلمة كانت ألِفها رابعة فصاعدًا مُنقلِبة من واو او ياء او لم تكن من واحدة منهما مُمالة كانت او غير مُمالة وجب كتابُها (٢ : ٢) بالياء. لأنّه اذا ألحقتَه تاء الضمير التي في فعلتُ وفعلتَ او تثنية يصير في اللفظ ياء؛ وذلك مثل أعطى وارتضى واستغنى اذا سُمّي الفاعل ومثل مُوسى وعيسى وسَكرى واحدى وأُخرى ومِرعِزى وباقِلى (في من شدّد) والدِّفلى والهَيجى (في لغة من قصر) وأقصى وأعمى وأحوى والمُعلّى والبُخترى والسّاقي ويحيى (اسم رجل) والمصطفى والمرتضى وقَرقَرى وحَبنطى (في من لم يهمز) وقبعثرى وحتّى وأنّى الخ هذا

٧ المخالِف أخواتِه في الياء من ذلك

فان كان ما قبل هذه الألفات ياءً كُتبت على اللفظ الفًا لئلا يجتمع الياآن وذلك مثل الدُّنيا والعُليا والرُّؤيا والثُّريّا وهو يَحيا ويُعيا فامّا يحيى اسم رجل بعينه فانّه يُكتب وحده بالياء. مخالفًا لنظائره لأنّه عَلَم مشهور يكثر استعمالُه فلا يلتبس فيجري على اللفظ دون المعنى تخفيفًا وفرقًا بينه وبين الفعل ولا يقاس عليه لأنّه شاذّ من القياس (٤ : ٤) والصواب ما قدّمنا في جميع ما يُكتب بالياء. اذا اتّصل بعلامة ضمير ولم يتغيّر معها اللفظة كُتب الفًا على اللفظ لأنّ الوقوف عليه قد زال لتوسّطه وذلك مثل أعطاهم وقضاهم ورماها وعصاه ورحاكم وهو سواهما وهي احداهنّ وهو موسانا وعيسانا ويحيانا . فامّا كِلا فانّه مخالِف بالباب وكُتبت بالألف لأنّه لا إمالة فيها ولأنّها حرف لفظه كلفظ ما كان من كلمتين كهلّا وبلا وفيها معنى لا

وهي مع ذلك تُشبه كِلى التي تُؤكّد بها التثنية في الخطّ احيانًا فكُتبت على اللفظ للفرق وخُولف بها عن نظائرها وكذلك الألاتي يُستثنى بها . واما حاشا فالالف غير لازمة لها كلزوم كِلا ألا تراها تُحذف مع اللام في اللفظ كقوله جلّ وعزّ (١ : حاشَ لله . ولها ايضًا نظير في الفعل وهي على اربعة احرف فقياسها ان تُكتب بالياء الّا انها كُتبت بالالف لئلّا يشتبها وهي عند قوم فعلٌ فمن زعم ذلك وجب عليه ان يكتبها بالياء لا محالة وتركُ الإمالة فيها جيّدٌ وحذفُ الفها وجرّ الاسماء بها ادلّةٌ على انها حرفٌ . فامّا كِلا الرجلَين وكِلتا المرأتَين فتصلان في الخطّ مع الاسماء الظاهرة على لفظها مع المضمرة وان كانت مماثلتَين فتُكتبان في حال الرفع بالألف وفي حال (٣٠ ،) النصب والجرّ بالياء لانهما يصيران في اللفظ مع المضمر كذلك لانّه خُصّ بهما التثنية وشُبّه آخرهما بآخرها لما أُضيفتا الى التثنية وتضمّنتا معناها وذلك كقولك : جاءني كِلا الرجلَين وكِلتا المرأتَين بالالف ورأيتُ كِلَي الرّجلين وكِلتَي المرأتين ومررتُ بهما كذلك بالياء . (٢ وأُجريت كِلتا على كِلا في الخطّ لاشتراكهما في التثنية وغيره مع المضمر والظاهر ولولا ذلك لكان القياس اثبات كِلتى بالياء على كلّ حال

واعلم انّ كلّ مقصور كثرت حروفه او قلّت من ذوات الواو والياء وممّا ليس منهما فعلًا كان او اسمًا او حرفًا يجوز كتابة الفه على لفظه لانه الاصل ولكنّ القياس والاختيار ما بيّنّا وقد اتينا على هذا الباب كلّه وان كان قد شذّ عنّا شيء ففي ما ذكرنا دليل عليه

(له بقيّة)

---

١) سورة يوسف ٣١

٢) يريد مررتُ بكِلَي الرجلَين وبكِلتَي المرأتَين . والشائع بين النحاة أن تُكتبا : بكِلا وبكِلتا . بالالف

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مشاري بن سعود — تركي بن عبد الله بن سعود

صبر اهل نجد في اوّل الامر على احتلال المصريين في ربوعهم لولا انهم بعد قليل اساءوا التصرف فيهم ولاسيا بعد مجيء خالد باشا الذي عيَّنهُ محمَّد علي كخلف لاسماعيل باشا . وقام اميرًا على نجد بعد نفي الامير عبدالله اخوه مشاري ابن سعود وكان قليل الدراية في التدبير فلم يستطع ان ينظم ما اختلَّ من الامور بعد اخيه ولم تطل مدَّتهُ فمات لسنتين من امارتهِ سنة ١٨٢٠

فدعا النجديون بعده الى امرتهم ابن اخيه تركي بن عبدالله بن سعود لجمع شتات الوهابيين واخذ يناوش المصريين القتال الى ان تمكَّن منهم وفلَّ كتائبهم واستردَّ نجدًا من ايديهم . واذ رأى ما حلَّ بالدرعية من الدمار نقل كرسيّ ملكهِ الى رياض فحصَّنها واحاط بها سورًا وبنى جامعًا كبيرًا وشيَّد لنفسهِ قصرًا متَّسع الارجاء . واستمدَّ حرب المصريين بعد ان اوقع بمن تأخر منهم في انحاء مملكتهِ وطردهم الى القصيم حيث اقاموا مع خالد باشا ينتظرون نجدةً

فاسرع محمَّد علي وارسل قوَّات جديدة تحت قيادة حسين باشا ليقتصَّ من اهل نجد فولَّى الوهابيون هاربين الى جبال اليامة والحريق فاراد حسين ان يتعقبهم فاضلَّهُ الدليل وكان من العربان فمات المصريون عطشًا في تلك الصحاري القاحلة وكان عددهم نحو ٥٠٠٠ فرضي عزيز مصر محمد علي بحكم الاقدار وكفَّ عن محاربة الوهابيين

فلما اطمأنَّ تركي بالا عكف على تمكين سلطتهِ وسار في رعيتهِ سيرةً مشكورة وكان درس شيئًا من الطب فعالج المرضى من اصحابهِ فشفاهم ونمى بذلك صيتهُ . واذ استفزَّ الطمع رجلًا من اقاربهِ يدعى مشاري بن عبد الرحمن وقيل مشاري ابن خالد فوثب عليه وقت صلاة الغروب فقتلهُ سنة ١٨٣٤

فيصل بن تركي

حملة المصريين الثالثة على نجد

لم يجنِ مشاري ثمرة جنايته ليتهنأ بها زمناً طويلاً . فان فيصل بن تركي كان غائباً من رياض يحارب جهات الاحساء. فما بلغهُ الخبر بقتله اباهُ حتى كرَّ راجعاً الى رياض فدخلها عنوةً وحاصر مشاري في قصره عشرين يوماً الى ان وجد منهُ غرّة فدخل القصر ليلاً وقتل مشاري لاربعين يوماً من ملكه . فتولى الامير فيصل تدبير الوهابيين خمس سنين (١٨٣٤–١٨٣٨) وكان عبدالله بن رشيد ساعده على محاربة مشاري فكافأهُ فيصل على عونه وجعلهُ اميراً على جبل شمَّر واليه ينتمي بنو رشيد كما سترى

اما فيصل بن تركي فانهُ احسن السلوك في رعيته وحاول اصلاح امورها وكمال استقلالها . واذ طالبتهُ الدولة المصرية بدفع الاموال التي كانت تقاضتها سابقاً أبى ان يؤديها . وفي اثناء ذلك قام عليهِ ابن عمه خالد بن سعود طالباً الامارة لنفسه فجرت بينهما عدة وقائع كان الفوز فيها حليفاً للامير فيصل ثم التجأ خالد الى المصريين فانتصر له محمد علي باشا وارسل عسكراً لتمليكه على رياض . ففرّ الامير فيصل الى الاحساء. ثم تنكّر ورجع الى مكة وساح في بلاد الشام وقرر بدمشق مذهبه الوهابي بصحبة الحنبليين ثم عاد الى نجد يتربص الفرصة لاستئناف امرته. وكان خورشيد باشا جعل في مكانه خالداً وما لبث ان عزله واعاد بلاد نجد تحت حكم المصريين ثانيةً بيد انهُ قُضي عليه بعد سنتين ان يرجع الى القاهرة بجنوده. فجعل خالداً كوالٍ على رياض ورأى فيصل الحرج لموقفه ان يسلم نفسه لخورشيد باشا مختبئاً وقيل ان جنوده خانوه فقبض عليه المصريون فأُرسل الى مصر أسيراً

الفوضى في نجد

رجوع فيصل

استبدَّ خالد بالامر بعد غياب خورشيد باشا وسلك في رعية الوهابيين بعنف وجفاء. فنفرت منهُ القلوب ثم تألبت عليه الاحزاب فطردوهُ بعد خلعه مع من بقي من المصريين حراسته وسلموا مكان التدبير الى ابن عمه عبدالله بن ثنيان

كان عبدالله من رجال العزم وسعة النظر ذا بأس وفروسية . جرى في السياسة على منوال سلفائه من قهر المعادين وتأمين الثغور ثم عُني بتحصين رياض وتحسينها بالمباني الفخيمة لكنه كان شكس الخُلق لا يرعى ذمّة لرعيته فاستاء الناس من سلوكه

وفي غضون ذلك امكن الامير فيصل الفرار من حبسه فنجا بنفسه الى نجد وانضمَّ اليه اشياعه فسار الى رياض ودخلها وتنازل له عنها عبدالله بن ثنيان الذي مات بعد زمن قليل حتف انفه وقيل مسموماً (١٨٤٣ م)

واستمرت هذه الدفعة حكم الامير فيصل على الوهابيين قريباً من ٢٣ سنة (١٨٤٣ – ١٨٦٥) فدانت له قبائل نجد واستقامت له الامور وجعل قائداً على جيوشه ابنهُ عبدالله فخضع له بلاد الاحساء وقطيف وعمان فرتع في بحبوحة الامن الى سنة وفاته

تفرق آل السعود بعد الامير فيصل

لمّا مات الامير فيصل تبعه في الحكم ابنهُ عبدالله المذكور وكانت ايامه في اول ولايته صافية الاديم . وبقي مدة على ذلك حتى استنكف منهُ اخوتهُ واقاربه امادانه لهم فتحزبوا عليه وخلعوهُ بعد معارك جرت بينهم سنة ١٨٧١ واسندوا امرهم الى اخيه سعود فحكم على نجد شرقيه وغربيه باديته وحاضرته ثلاث سنوات ثم توفي سنة ١٨٧٤ وعاد عبدالله الى ولايته لكنّ خصومهُ من اخوته واهله نازعوه الامارة ثانيةً ولم يستقر له امرٌ الا بعد ان اقتسموا بينهم انحاء دولتهم فصار كل امير يحكم على بعض المشائر فضعفت بذلك قوتهم وتفككت عراهم

خصوص اخبار آل السعود بعد تفرق كلمتهم

لما انشقت عصا آل السعود كان اول من نال ربحاً من اضطراب امورهم محمد ابن رشيد امير حائل فانهُ مكّن سلطتهُ على جبل شمّر ثم تدخَّل بين امراء رياض لاصلاح شؤونهم ففتح له ذلك باباً لبسط حمايته عليهم فسامهم ان يكونوا كعمّال لمن نال السيادة بفضلهم . ثم سعوا بطلب الاستقلال فضربهم ابن رشيد ضربة أليمة فقتل البعض واسر البعض الآخر في عاصمته الحائل . وبقي عبدالله في رياض مُغضياً على الذل . اما اخوه عبد الرحمان ففرَّ ناجياً بنفسه

ولـتسبب الاتراك تلك الاحوال ليعيدوا حكمهم على بعض انحاء الجزيرة فحاربوا الأحساء وعمان ودخلوا نجداً ونهبوا مدينة الهفوف وقتلوا رجالها وانتهكوا حرمة نسائها وصبايا وجعلوا يدهم على سواحل خليج العجم من قطر الى الكويت

فلما رأى الامير عبدالله ما آلت اليه احوال الوهابيين اتفق مع اخيه عبدالرحمان على جمع كلمتهما لحفظ رياض وما جاورها من النواحي فضبط عبدالله ازمة الامر وجعل اخاه عبدالرحمان كنائبه في الحكم وجاهرا بمعاداة ابن رشيد . لكنهما لم يقويا عليه فخضع له عبدالله مطيعاً واعتزل السياسة فعاش في حائل خاملاً في الرحب والسعة . ولحق عبدالرحمان اخوه بالاتراك فنزل الاحساء . وسكن مدة في بغداد ورحل الى الاستانة الى ان احلته الدولة في الكويت مع راتب شهري قدره ٤٠ ليرة (سنة ١٨٧٩)

آل سعود في الحقبة الاخيرة — عبد العزيز باشا السعود

بقي الوهابيون كالجمر تحت الرماد يتشاورون من يتولى امرهم ليثبوا ثارهم الكتابية ضراماً . فلما كانت السنة ١٨٩٥ قام امير من سلالة سعود وهو عبد العزيز باشا السعود ابن اخي عبدالله الذي كان في ولاء صاحب الكويت فبعثه ليخفف من نخوة ابن رشيد وكانت الحرب قد وقعت بين ابن رشيد وصاحب الكويت الشيخ مبارك بن صباح فاغتنم عبدالعزيز هذه الفرصة وسار الى رياض حاضرة آل سعود فدخلها بمساعدة مبارك بن صباح . ومذ ذاك الحين بقي متولياً على الوهابيين دون منازع لولا ان ابن رشيد احب ان يهجم عليه ويخضعه لامره . لكن عبد العزيز خيّب آماله واتشبت الحرب بينهما زمناً طويلاً الى زمن حمود بن رشيد وانتهت بانتصار حمود لكنهما اصطلحا سنة ١٩٠٧ ولم يزالا متسالمين الى هذه السنين الاخيرة بعد ان عقدا معاهدة وعيّنا حدوداً لدولتيهما

وهذه ثلاث عشرة سنة مرّت على عبدالعزيز بن سعود جدد فيها رونق بلاد نجد بل اخذ يسعى بتوسيع نطاق امارته فاحتلّ جهات الاحساء والقطيف ودارين . واذ علمت الدولة العثمانية انها لا تستطيع مقاومته وقد ضايقها الاعداء في البلقان وفي

اليمن والعسير مع ما اختبرته من شهامته وغاراته الشعواء. فظلت قبل الحرب الاخيرة ان تعتبره كاحد اصحابها بإزاء صاحب الكويت مبارك بن الصباح ودسائس الاجانب فنحته رتبة باشا. فرفع ابن سعود في اواخر السنة ١٩١٣ الراية العثمانية على بلاده وضم اليها ايضاً املاكا بعيدها مما بلغت اليه مقدرته وتعاهد مع شريف مكة وعدة امراء. ويبلغ اليوم عدد حملة الاسلحة في دياره نحو ٣٠٠٠٠

وفي زمن الحرب العمومية الاخيرة كان الامير عبدالعزيز مقيماً في نجد يترصد احوال المتحاربين. فلما رأى الانكليز فاتحين في العراق يفرقون كنانة الجهد لعقد محالفة بين جهات العرب ليبعثوها على الاتراك اجاب الامير سعود الى دعوتهم وحضر عند الشيخ مبارك في الكويت مع غيره من وجوه العرب لدى القائد الاكبر على الجنود الانكليزية في العراق وهو السير برسي لاك (Sir Percy Lake) ليعرب عن خلوص وداده نحو الدول الائتلافية (سنة ١٩١٧). فرحب به السر عسكر ثم اركبه يخته الاميري وقدمه الى البصرة حيث دعاه الى استعراض الجيوش البريطانية

على ان عبدالعزيز بن سعود مع رضاه بتأليف قوى العرب على الاتراك لكسر نيرهم الثقيل لم يرض البتة بان تمد سلطة عربية يدها الى دولته. واذ احس بان سلطان الحجاز جلالة الملك حسين نوى ان يبسط حكمه على نجد تصدى اليه وقام الى محاربته. وقد جرى في العام الماضي ١٩١٩ بين الحجاز ونجد حروب بلغ صداها الى مسامعنا وحتى الآن لم نقف على تفاصيلها والذي نعلم ان كلمة ابن السعود كانت راجحة وانه على جانب رفيع من العزم والدهاء لا يرضى بان يهضم احد شيئاً من حقوقه. ولا يزال الخلاف معلقاً بين مندوبيه وملك الحجاز على مقربة من الطائف

وفي الانباء التلغرافية الواردة في ت ٢ ١٩١٩ ان الامير عبد العزيز بن السعود ارسل وفداً الى لندرة يتركب من ابنه فيصل واستاذه احمد بن عبدالله بن الثنايات (كذا) وعبدالله القصيبي (؟) فاستقبلتهم الدولة الانكليزية بالاكرام وكفى به دليلاً على نفوذ الوهابيين ورفعة شأنهم. وبه نختم كلامنا عن الوهابيين ونتخطى الى ذكر بني رشيد

بنو رشيد امراء حائل

حائل قبل بني الرشيد

حائل حاضرة جبل شمّر من ولايات نجد الشمالية . موقعها في وادٍ شمالي سلمى احد جبلي طيّ . وهي كما يظهر مدينة مستحدثة لم يرد ذكرها في معاجم البلدان وانما عُرفت منذ اوائل القرن التاسع عشر

وكان اول من دخلها من سيّاح الفرنج ولّين (Wallin) احد اساتذة بلاد فنلندة سنة ١٨٤٨ زارها متنكراً تحت زي درويش وفي السنة ١٨٦٣ اجتاز فيها الرحّالة غوارماني الايطالي الاصل الشرقي المولد ارسلته سراً الحكومة الفرنسوية لابتياع خيل عربية من نجد

وكان سبقه قبل ذلك بمدة اشهر سائح يسوعي الاب ميشال كوهن الذي اشتهر بعد حين باسم وليم غريفرد بلغراف سافر بايعاز الامبراطور نابوليون الثالث الى نجد بصفة طبيب وبصحبته شاب اديب سماهُ بركات وقد عرفناه بعد ذلك بطريركاً على طائفة الروم الكاثوليك باسم بطرس الرابع الجريجيري . بلغا الى الحائل عاصمة بني الرشيد على عهد الامير طلال ثم انتقلا الى رياض مركز الوهابيين اذ كان يحكم عليهم الامير فيصل . فتعاطيا فيها الطبابة مدةً ثم برحاها لمّا تهددهما عبدالله بن فيصل بالموت فتراً من وجهه الى القطيف فعمان فالبحرين وعادا الى الشام على طريق العراق سنة ١٨٦٣ وقد نشر بلغراف اخبار رحلته في مجلّدين

ومن مشاهير سيّاح الفرنج السيدة الانكليزية انا بلونت (Lady Anna Blunt) التي دوّنت اخبار سياحتها الى نجد في السنة ١٨٧٨—١٨٧٩ في ايام امير حائل وجبل شمّر السيد محمد بن عبدالله

ويستفاد من رحلة هؤلاء السيّاح ان الحائل مدينة ذات سعة حافلة باسباب المعاش كثيرة الغلّات والاثمار يتوارد اليها العربان من كل صوب ليتاعوا منها لوازم الحياة وهي مُحدقة بسور عالٍ منيع محصّن بالابراج . والبلد قسمان قسمٌ عتيق ضيق الاسواق تتلوّى فيه الطرقات بين اكواخ وبيوت حقيرة وسخة وقسم جديد

مَني ببنائهِ بنو الرشيد فيهِ الجوامع المحكمة الصنع والدور الفخيمة والاسواق النظيفة والساحات الرحبة وهناك قصر الامير الواسع الارجاء الشاهق البنيان . امَّا عدد اهل الحائل فيقدَّرون بخمسة عشر الف نفس وللامير حاشية خاصَّة لحراسته واشغاله يبلغ عددها الالف

لمَّا استولى الوهابيون على جبل شمَّر في اوائل القرن التاسع عشر استفادوا من غنى الحائل ووفرة ارزاقها الى ان حمل المصريون على نجد فاستقلَّ اهلها بالامر وفوَّضوا مقاليد حكمهم الى اسرة شريفة شهيرة عندهم ببني علي فتولَّت تدبيرهم ردحاً من الدهر ثم جنح اصحابها الى العسف وساروا فيهم بالظلم واحيوا معالم الجور فثقل نيرهم على الاهلين وحاولوا خلعهم (له تابع)

الحقوق البَدويّة في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان الرومي الملكي الكاثوليكي (تابع)

٣ بيت البيت

ان العرب لهم منازل عديدة يسكنون فيها فمنها ما هو حجري ومنها ما هو شَعري فالبيوت الحجرية البدوية وان كانت مشيدة بالحجارة فهي دون نظام وترتيب مقسَّمة الى مواضع عديدة . فيها يجلسون ويتسامرون فيها يأكلون وينامون فيها يربطون دوابَّهم ويحفظون مواشيهم فيها يخزنون مؤونتهم . ولا يتصوَّرنَّ الطالع ان البيت الحجري هو مجموع حجر كثيرة كبيوت المدن الزاهرة بل هو حُجرة كبيرة تُستخدم لكلّ ما ذكرناه . وسنصف البيت الحجري في بحث آخر . والبيت الشَّعري هو الخيمة بل مسكن العرب الشاذين في القفار . فالبيت الحقير مع ما فيه من قليل الاثاث له اكرام عظيم . أجل انَّ هذا النسيج المرتفع على اعمدة سوداء القائم في ارض جرداء منزلةً كبرى وشاناً رفيعاً . لأنَّ من اهان البيت فقد اهان اصحابهُ النازلين فيهِ

لا بل اهان العشيرة كلها . ولذلك قد جعلوا له حقوقاً يعرفها القضاة ويجرون عليها . فانّ الاكرام والاعتبار لا يؤدّيان للبيت لما فيه من وفرة الاقسام وغناهـا او لحسن النسيج وزخرف الاثاث بل لاصحابه . لان الخيمة يصنعهـا العرب من وَبَر الإبل او شعر الماعز فلا اعتبار لها بحدّ ذاتها . فانّ اكرام البيت يعود الى الاعراب الذين يسكنون فيه كما قال لي احد الاعراب : « انّا نحن الاعراب نذاد عن ارباب الذين لانّا ندافع عن كل من اهان بيوتنا حالـة كون اهل الحضر لا يهتمّون بهذه الوطنية الشريفة . لان الخيم هي وطننا في البادية ومحلّ آبائنا ورثناهـا عنهم فنحامي عنها لانها وديعة ثمينة . ومن يتعدّى على البيت وارباب ينال جزاء تعدّيه من الاهـانة والعذاب » . ودونكم وصف ذلك

بينما العرب جالسون في شقّ الرجال يتلذّذون بشرب القهوة المرّة اذا بضيف قد ورد عليهم . فانه يمرّ من وراء الخيم كي لا يلتقي بنظره الى الحريم او محلّ النساء في الخيمة فينزل عن مطيّته ويربطها باحد الاوتاد او الاطناب ثم يدخل الى المجلس وفي يده محجانة وعلى كتفه بندقيّتة . فيحيّي الحاضرين وينتظر قليلاً من الزمان حتى يُعدّ له محلّ للجلوس فيه فيسرعون ويأتون بفراش ناعم ويدعونه ثم يقولون له : هلم الى هنا . تعال وكوِّع » . (والتكويع هو انه يضع كوعه على المسند ويتكئ) فينحرون الجزور اكراماً للضيف ويصلحون منه طعـاماً للحاضرين . فيصبح البيت مكرماً مكرّماً . ويضطرّ الضيف الى ان يحترم المنزل وكلّ من فيه . ويلتزم كلّ من في المحلّة لو خارجاً عنها ان يكرم البيت والضيف . فلا ريب ان تلك العادة شريفة حتى اذا خرج الضيف من عندهم يمدحهم ويثني على آدابهم . والعرب كما بيّناه يحافظون على شرفهم ويخشون من الطاعنين بهم والعاذلين لهم

بيد ان الإهانة هي التي تكسر شرف البيت . لانه كثيراً مـا يحدث ان بدويين من الحضور بعد حديث مديد ومجادلة طويلة يتّصلان الى السبّات والشتائم او رفع الاسلحة في البيت . فهذا الامر يُعدّ « كسر شرف » لصاحب البيت فالبيت يطلب حقّه . وربّما يصير ان عدوّاً الضيف يتقدم فيضربه او يهينه . فتلك الاهانة تعود على صاحب البيت وعلى الضيف فالبيت يطلب حقّه . وقـد يجري احياناً ان رجلاً سفيهاً يهين ربّ البيت بكلام سافل فالمهين يلتزم بردّ الشرف المفقود والقيام

بمحق البيت . لان الاعراب يزعمون ان من ازدرى بالبيت واحتقره فقد صنع ذلك ليس فقط نحو الاحياء بل نحو الاموات والاجداد . وهم يقيمون اكراماً واجلالا عظيمين لاجدادهم الذين نهجوا لهم سبيل البادية وعلّموهم السكنى فيها

وإهانة البيت لا ترفع الا بطريقتين: فالاولى امام القاضي البدوي او احد الوجوه والشيوخ . فاذا رفعت الدعوى الى احد الوجوه فتفكّ عقدها بالحبّ والسلام واذا اتصلت الى القاضي يطلب رزقة ثلاثين ريالاً فيدفعها المجرم رغماً عنه ثم يحاكم امام المجلس كما وصفناه سابقاً . فينتصب المدّعي وهو صاحب البيت في وسط الجماعة ويقول: « ويش بك يا قاضي العرب ياحامي النسب بفلان اللّي (الذي) كسر شرفي بقوله كذا وكذا واهانني في عشيرتي وبحضور جماعتي واهان ضيفي فودّي منك ان يبيض الوجه » . وبياض الوجه عند العرب الحاليين يقوم باعادة الشرف المفقود . والبيضاء هي الراية الكبيرة يصنعونها من نسيج ابيض ويرفعونها على الرمح اكراماً لصانع الخير . ولقد يرفعونها في الحروب حينما يهجم الاقوياء على الضعفاء فيرفع الضعفاء الراية البيضاء ويسلمون انفسهم لاعدائهم وذلك دلالة على المسالمة والمهادنة . وفي الغزوات الرهيبة حينما لا يقدر الاذلاء على مقاومة الابطال يرفعون الراية البيضاء . وحينما يصنع احد الاعراب صنيعاً يذكر فيشكر كالذي يخلص قريبه من الموت يرفعون لـه راية بيضاء ويطوفون بها حول الخيم وهم يقولون : « راية فلان بيّض الله وجهه »

غير ان الضيف الطلق اللسان يحتج عن نفسه فيقول: « يا قاضينا يا قاضي العرب اذكر الله . المحل الذي نزلت فيه هو بيت رفيع وصاحب البيت الشيخ فلان اكرم ضيوفه خير اكرام ونال الاهانة والشتائم من فلان » . ثم يمدح صاحب البيت على كرمه وجوده ويعدّد مناقبه الحميدة ويسترحمه بأن لا يترك البيت في درجات الذلّ والهوان . فتارة يستشهد على صحة كلامه بآية من آيات القرآن واخرى يورد مثلاً دارجاً وحيناً يأتي بحكاية او نادرة تؤثر في عقول الحاضرين . ثم ترد الشهود وتشهد على صاحب مدّعاه . فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ومن عند القضاة الذين قبلي فلان كسر شرف البيت واهان صاحبه وضيفه » فيأمره بدفع عشرين ناقة وخمسين نعجة . فيقول المجرم : « انا مستعد لامر القاضي . امرك ياقاضينا فوق الراس

ويلزمه بان يدفع للضيف ثلاثين ريالاً فعلى المجرم ان يقول دائماً : « نعم انا مستعد » وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ ويقول لرب البيت : « حقك على العين والراس ولكن من شأن الشيخ فلان دع له خمس نياق » فيقول : « من شأن خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » . ثم ينتصب شيخ آخر ويقول : « يا شيخ فلان اترك له من شأن الجماعة ومن شأن والديك كذا وكذا » فيقول : « قد تركت ما طلبت » وهكذا يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً

على ان البدوي لا يدع مثل هذه الدعاوي تتصل بالمحاكم بل يصلح ذات البين بالقليل وذلك بان المجرم يقوم نحو المهان ويقبل لحيته ويقول : « بالله عليك وبذمة والديك تنسى ما جرى مني والله ما هي نية سيئة مني بل سكرة الفكر وطغيان العقل هذا ما جرى مني » . فيقبله من لحيته او من شاربيه ويصفح عنه . ومنهم من يدفع كل ما يطلبون ولا يخفض منه درهماً . واليكم الحادثة الآتية : كان سالم العازمي في خيمة عودة ابي تايه اذ هجم عليه حامد الشراري واطلق رصاصة عليه فلم تصبه بأذى حينئذ امتطى الشيخ عودة مطيته الى مضرب كاسب الحاوي شيخ الشرارات وقال : « بيّض وجهي يا كاسب الحاوي » . قال : « خير ان شاء الله » قال : « ما في الا الخير . هجم حامد الشراري على ضيفي سالم العازمي واطلق عليه الرصاص » . قال : « قد اصلحت الامر يا شيخ عودة خذ لك ولضيفك اربعين ناقة وفرساً وسيفاً وامش في سبيلك » . فانطلق الى الحويطات مسروراً واستوفى حقه . ولو ابى الصلح لكان عودة ابو تايه اشهر عليه حرباً عواناً

من الوجه

الوجه عند العرب وفي هذا المقام هو الكفيل الوكيل باجراء ما يتفق عليه فريقان من فعل خير او اتقاء شر فان البدوان اذا ارادوا ان يصنعوا امراً عظيماً لا يقدرون عليه او يخشون منه عاقبة وخيمة او غضيمة عمدوا الى رجل شريف طاعن في السن فيقولون له : « يا فلان كن وجهاً عليّ في الامر الفلاني » . والوجه لا يخون صاحبه ابداً ولو فقد ماله وحياته . وكم من مرة رأينا الوجوه يسعون في طلب الحق للموكلين عليهم . والوجه لا يقوم باعباء ثقيلة الا ليحفظ شرفه وينال صيتاً ومجداً بين اقرانه

ومما يدلّ على ان الوجه والكفيل هما كلمتان تدلّان على معنى واحد هو استعمالهما بالمعنى الواحد ، اذا باع امرؤ ارضاً او فرساً او غيرهما من الاشياء ، يقول البائع للشاري : « ترى بعتك بوجه فلان ان طلبتها أدفع كذا عقاباً على ذنبي » . وكذلك الشاري يقول : « ترى اشتريتُ بوجه فلان ان ارجعتها أدفع كذا عقاباً على ذنبي » . واذا تشاجر اثنان ثم تسالما يقول الواحد لصاحبه : « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اضرّ قريبة لا يلوم الّا نفسه » . ومن اودع وديعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤتمن عليها : « ترى فلانٌ وجهٌ عليك » ومن تعدّى على صاحبه يجد أمامه اعداء كثيرين بسبب الوجه . لأنّ العشيرة كلها تقوم مع الوجه يداً واحدة فالوجه يكون حاضراً او غائباً كما بيّناه في مقالتنا السابقة . ومما يجب ذكره ان كل شيء يصير في البادية مشافهة لا كتابة ومع ذلك فانهم يحفظون العهود والمواثيق

ولا بدّ للوجه من بعض الصفات الحميدة كالكرم والشجاعة والوفاء والإقدام فهذه الصفات الاربعة تجعله محبوباً رهيباً غيوراً على الحقّ والانصاف ماضياً في عزمه وافعاله . والوجه يكون اما من العشيرة نفسها او اجنبياً . فعلى اي صفة كان فهو مضطرّ بعواطف الشرف ان يقوم بواجبه . ومن كان اجنبياً تأخذه الحماسة والغيرة وتدفعه الى اعلى مراتب التفاني والحبّ لانه بذلك يبدي بسالته ويذيع بافعاله ومآثره بين عشيرته

وكثيراً ما يكون الوجه عاجزاً وغير قادر على النهوض بمهمته فكيف يدافع عن المستجيرين به ؟ . فالامر ليس بصعب لان هذا الوجه الضعيف هو نفسه يتخذ له ولصاحبه وجهاً هو أقدر على تمهيد العقبات واوسع سلطة واشدّ بأساً على الصعاب فهذا الوجه الجديد يمدّ لهما يد المساعدة ويأخذهما تحت حمايته

* * *

ومهما توفّرت المضايق في وجه الكفيل فلا يخلد الى اليأس والاحزان بل يتجشم الاخطار ويقتحم الاسفار والمشقات فيبذل كل نفس ونفيس لديه كي يصيب ما يتمناه من الرغائب والنتائج الحسنة فهكذا الكبير موكّل بالصغير فلا يدع احداً يهضم حقوقه او يفقده مطلوبه . فمن هذا الباب نرى ان البادية اكثر شفقة وحنواً من المدن . فالقوي يحترم الضعيف لانه يجد امامه مراقباً يراقب اعماله كلها ومدافعاً

بطلاً واقفاً له بالمرصاد . فاذا تعدى القوي على الضعيف وكان الضعيف وجه مشهود يلتجئ اليه ويقول له : « يا شيخ فلان قد صار الامر الثلاثي بوجهك وخصمي فلان تعدى علي وكسر وجهك فبيض وجهك ووجهي » . فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المروفين ويرسل رسلاً ليأتوا بالمتدي . فيقص الوجه قصته الى الحاضرين والمجرم في اثناء ذلك راكع والعقال في رقبته دلالة على التذلل والانسحاق ثم يحكم القاضي على الجاني بدفع ما عليه ويعاقبه بدفع عشرة خرفان للوجه او لصاحبه

ولقد يجدر بنا ان نذكر قوة الوجه في الحروب الطاحنة . حيثما يرى فريق المتحاربين انه قد كسر واندحر وخشي على نفسه من السيف يرمي بنفسه بين ايدي اعدائه ويقول للعقيد اي القائد : « ياشيخ فلان نحن في وجهك » : فيقول لهم : أبشروا بالعز والسلام » . فيكرمهم ويقدم لهم ما يحتاجون اليه من الطعام ثم بعد انتهاء الحرب او اثناء الغزوة يرسلهم الى منازلهم قائلا : « احلفوا لي بالله وبرسوله انكم لا تبوقون ولا تخونون بل تعودون الى اوطانكم وتنشرون كرمنا او افضالنا » . فيعدونه بذلك ويرجعون الى ربوعهم مسرورين ولسانهم يثني على مخلصهم من طائلة الموت

استودع صخري فرساً كحيلا عند مجرمي حتى يرجع فيأخذها . وصار ذلك بوجه فوّاز شيخ بني صخر فغاب الصخري اياماً طوالاً ثم عاد يطلبها وكان المجرمي في اثناء ذلك قد باع الفرس فقال الصخري : « يا اخا العرب رد لي الفرس » . فقال : « هي هدية قدمتها لي والآن تطلبها فاين شرفك واين كرمك » . فانصاع الصخري راجعاً واخبر الشيخ فواز بما جرى وقال : « انت الوجه في هذا الامر » . فركب فواز مطيته وسار في معيته عشرة من الفرسان فطلب حق الوجه سبعين ريالاً وعشرين نعجة واستلم الفرس من مشتريها ورجع (١)

---

(١) قد ذكرنا في مقالتنا السابقة حكاية حسين الصبح وقدومه الى ابن قلاب طالباً حق الوجه من النصراني الذي ذبح ابنه . راجعها في محلها (المشرق ٢٣ : ٦٦٦)

حق الدخيل

اذا تصفحنا معجم اللغة وجدنا ان الدخيل هو الضيف او السائر الداخل تحت خيمة احد الاعراب لطلب الضيافة اياماً معلومة . على ان الدخيل عند العرب الحاليين هو الرجل المستجير الخائف من امر صعب سيدهمهُ او دهمهُ فيعمد الى شيخ كبير ويقول له : « انا دخيلك فاحمني وارحمني » فالضعيف يستغيث بالقوي ويطلب حماه فيقول له : « ستكون في اعزّ جوار وامنع ذمار » . فان المولى جلَّ جلالهُ وضع هذه القوة النافعة في البادية لصدّ هجمات الاعداء وحقن الدماء . فالدخيل يرتمي في خيمة الشيخ ويسترحمهُ بان ينجدهُ ويجيرهُ . وفي الليل يرتمي المستجير على فراش الاولاد ويهتف بصوت متقطّع حزين : « انا بحضارك وموقد نارك . انا داخل عليك من السيف والحيف ومن فلان صاحب الحق الردي » . فيجيبه رب البيت : « أجِرتَ بالعزّ والهناء والطيب » . ثم يبسط له سبب اعتصامه به فيقول له : « عش في ديارنا فرحاً بك » . ثم ينزع كوفيتهُ من على راسه ويضعها على راس الدخيل ويقول : « الله ورسول الله لا احد ينزع من راسك شعرة » . اي انه يحارب من حاربهُ وينازع من نازعهُ . لعمري لقد راينا مشهداً يفتت الاكباد حزناً رأينا مظلوماً راكعاً امام شيخ يذرف الدموع الغزيرة ويذكره بما فُطر عليه من الافضال وكرم الاخلاق ويستحلفهُ بآبائه واجداده واولاده الاطفال بان ينظر اليه بعين الحنو والشفقة . فرقَّ قلب الشيخ وقال له : « لقد عطفتَ احشائي عليك وفهمتُ امرك كن عندي على مهاد الراحة والصفاء الى ان يمنّ المولى عليك بالهناء التام » . فبهذا الكلام الرقيق قبل هذا المسكينَ دخيلاً عندهُ

حكى لي عودة بن عيسى عن جده فقال : ذبح جدّي اعرابياً وجلا عن بلاده ثلاثين سنة الى ان حنَّت نفسهُ الى وطنه فامتطى ناقةً واتى في منتصف الليل الى مضارب الاعراب وكان عدوهُ نائماً بين اولاده فارتمى القاتل على فراشه وقال : انا دخيلك . فقال : من انت . قال : دخيل عندك . قال : سلمتَ ونجيت .

وحينما يقبل الشيخ الدخيلَ في منزله يرسل رسولاً الى عدو الدخيل وطالبه ويقول له : « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه باذى » . فيجيبه الرجل اطلب

خصمي الى القضاء. فيقول له : « أعطه نطوة » . والعطوة هي هدنة من الزمان يمتنع فيها العدوّ عن الشرّ الى ما بعد المحاكمة . فهذه الهدنة لا يطول تأجيلها الى زمان بعيد فالصخور يمنحون العطوة لاسبوعين وبنو حسن لستين يوماً . ويختلف الزمان بحسب العشائر . فالدخيل حينئذٍ يثلج صدراً ويرتاح فكراً . لان حالة تؤثّر على حالة الاعراب كلهم فالجميع هم خدم له ما دام دخيلاً عندهم . غير ان صاحب الدخلة يبعث وفوداً الى العدو ثلاث دفعات متوالية ويستحلفه بان يدعوي عن غيه ويأتي الحقّ امام القاضي فتارةً يستخدم الوعد والوعيد واخرى التوبيخ والتهديد فان أبى الّا الانتقام وأخذ الثأر بيده يجمع الامير فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدو فيسلبون ما يجدونهُ هناك من المواشي والغنم والخيل والبقر ويقودونها الى ارض قاحلة لا مرعى فيها . فيضطرُّ العدو اذ ذاك الى طلب المهادنة والمصالحة . واذا اصرّ على عناده تموت الماشية ويصبح فقيراً ولا يقدر ان يطلبها من صاحب الدخلة لانه أبى الّا الانتقام . واذا سُرقت ولم يتصالحا فلا يطالب بشيءٍ . على ان الغني حينما يرى نفسه في هذه الحالة لا يتأخر عن طلب الحق امام القاضي فيتصالحان ويعود الدخيل الى منزله (لها بقية)

التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

وقفنا على نسخة خطيّة من كتاب التنبيه للبكري (١) ردّ فيه على اغلاط القالي في كتابه الامالي . فاحببنا ان نصفها لقرّاء المشرق وان نستفيد من بعض ما ورد فيها لنؤيّد ما قلناهُ في مقالتنا السابقة التي قرظنا بها ديوان عمرو بن قميئة فأشرنا الى ما طرأ على الشعر العربيّ من الاختلافات

---

(١) كانت هذه النسخة مُلك جناب الاديب جرجس بك صفا وقد انتقلت بالبيع الى سعادة العالم الاديب احمد باشا تيمور . واليه انتقلت ايضاً نسخة نوادر ابي زيد الفريدة التي كان استعارها المرحوم الشيخ سعيد الخوري الشرتوني من جرجس بك ونشرها بالطبع في مطبعتنا وهي نسخة جليلة مضبوطة بالشكل الكامل

الابل وهو ان يحرك البعير رأسه اذا اسرع فهو من سير النجائب · والصوت صوت الحادي يحثها على الجري فادرج المنشد والناسخ بعده هذا البيت خطأً ضمن الابيات التي يصف بها الاخطل النعام والنعامة تختلفان الى بيضها يحضنانه خمساً وعشرين ليلة · والمعنى يقتضي ان يقدم هذا البيت فيثبت مع الابيات المختصة بوصف الناقة

ومعلوم ان اللغة العربية غنية بالالفاظ المترادفة القريبة المعنى · فكان من ينشد الشعر اذا لم يتذكر لفظةً يلتجىء الى غيرها تُرادفها او تصلح البحر او القافية وان اخلّ ذلك بالمعنى كثيراً او قليلاً · وهذا من اسباب الروايات المختلفة في الشعر العربي · وقد بيّنا ذلك في الابيات التي رواها البكري عن القالي حيث روى الغَمْر بدل الغُضْر ومرجب عوض مرحب

ولا اسهل من ان نأتي بامثلة عديدة يوردها البكري في كتابه التنبيه · الا ان نكتفي بما سبق

الثلج في بيروت وسواحل لبنان

للأب لويس شيخو اليسوعي

قمنا صباح الاربعاء في ١١ شباط واذا بالمدينة مكتسية بحلّة ناصعة بيضاء تأخذ بالعيون فكان الثلج بسط على سطوحها وشوارعها وكافة احيائها ثوباً يققاً لم تعهده ابصار اهل بيروت الا بعيداً على قمم جبالها وما اجمل ما كان منظر الاشجار باغصانها البيضاء على مثال القضبان من اللُجين · وبقي الثلج يتناثر طول النهار كاللآلئ الثمينة فتراكم الثلج اكداساً حتى بلغ عشرين سانتيمتراً ونيف اعني قريباً من ثلث الذراع ولم تنفرد بيروت بهذه الحلّة التي عمّت كل السواحل · فقلنا ان عصاة ساحرٍ رفعت بنا الى ذرى لبنان او ان لبنان نزل من مشارفه ليشركنا ببعض امتيازاته

وبينما كان البرد يقرص قرصاً اليماً تزوى كثيرون في بيوتهم وتعطلت عدة اشغال في المدينة حتى صعب الجولان في انحائها ونزلت بعض بنات آوى الى المدينة

ودخل منها واحد في مكتبنا الطبي تساءل كثيرون ماذا يا ترى حلّ في طبقات الجوّ ؟ . قالت البشير في عددها الصادر في غد ذلك اليوم : « هل طربت بيروت واستبشرت بقرب انضمامها الى لبنان فحاولت ان تضاهيه في الاحوال الجوّية كما تماثله في الشؤون الادارية والسياسية فتزيّنت بزينة جليله ولبست ثوب بياضه الناصع وكأنها تنادي وتقول انها تريد ان تكون من لبنان وكلبنان وانها تأبى الانفصال عنه مهما كلّفها الامر حتى ولو تكبدت لاجله من صبارة القرّ فوق ما تتكبده من حمارّة القيظ والحرّ » فأحسن به تفاؤلا نتمنّى تحقيقه في القريب العاجل

وبمناسبة هذا الواقع العجيب سأل كثيرون أورد شيء مثل ذلك في الايّام السابقة والسنين السالفة

احببنا قبل البحث في صفائح التاريخ ان نلقي نحن ايضا هذا السؤال على شيوخ الوطن ممن طعنوا في السنّ وعجموا الدهر حلوه ومرّه فكان جوابهم بلا اختلاف كما عرفناه نحن بالاختبار منذ ازيد من نصف القرن انهم لم يروا بل لم يسمعوا انّ الثلج جلّل سواحل لبنان بغلالته البيضاء اللهم الّا بنتف قليلة كانت تذوب عند مسيسها للحضيض

فقضي علينا ان نوجّه رائد البحث الى كتب التاريخ وهي اصدق شاهد على حوادث الازمنة الغابرة . على انّ تواريخ سورية القديمة عموما ولبنان خصوصا اعزّ من بيضة الديك فليس لدينا منها غير ما جمعه الطيب الذكر البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخه الذي طبع منه قسمه الديني وتاريخ الامير حيدر الشهابي المعروف بالغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان الذي طبع في مصر ومنه في مكتبتنا الشرقية نسخة منقولة عن النسخة الاصلية مع اختلاف كثير عن النسخة المطبوعة ثمّ تواريخ اخرى قليلة منها عمومية كتاريخ ابن الاثير وتاريخ ابي الفداء وتاريخ ابن العبري ومنها خصوصية كتاريخ ابن سباط وصالح بن يحيى . فهذه التواريخ قلما تدوّن الحوادث الجوّية ما خلا الزلازل وكسوف الشمس وظهور الذنبات والسيول . واذا ذكرت الثلوج فذلك استطرادا . اما ما يتناقله البعض بالتقليد عن الشيوخ فلا يعرف تاريخه بالتدقيق وربّما خلطوا بين الثلج والبرد او الصقيع كما حدث في ربيع ١٦٨١

حيث وقع بَرَد كثير بلغ كما اخبر الدويهي وغيره وزن البَرَدة اوقية وثلثاً فهلك بسببه كثير من البهائم وأضرّ بالاشجار . وكذلك في السنة ١٨٠١ نزل بَرَد كبير وطال نزوله نحو الساعة فغطّى قرى المتن والفتوح وبلغ السواحل فأتلف الزروع وعرّى الاشجار من ورقها الّا انّ هذه الضربة حدثت ليل ٢٧ ايار وكفى بذلك دليلاً على انهُ لم يكن ثمّ ثلج لأن الثلج لا يسقط عادةً الّا في الكوانين

وقد وجدنا في التاريخ ما هو ادلّ واصرح . قال الامير حيدر الشهابي في الغرر الحسان في تاريخ سنة ١٠٧١ هـ الموافقة للسنة ١٦٦١ م :

« عندما دخل الشتاء حدث بَرْد عظيم وشتاء زائد وتراكمت الامطار والثلوج التي لم يُسمع بمثلها وزاد الثلج في السواحل حتى تكسرت منهُ الاشجار بالزيتون ووصل الى البحر ودام ذلك مدةً فاشتد الجوع وزاد الغلاء الى ان بلغ ثمن غرارة القمح الاثني عشر غرشاً . ثم بلغ ثمانين غرشاً وانقطع وجود القمح الى ان بيع الفنجان بمصرية (كذا) . ومات اناس كثيرون من الجوع واكلت الناس لحوم الحيوانات الميتة »

وقال في تاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٦٨٣ (ص ٤٧٣ من نسختنا) :

« في شهر كانون الثاني حدث برق ورعد واعقبهُ شتاء عظيم وسيول عظيمة حتى حفرت خنادق في الارض ووقع ثلوج زائدة . وكان الحاج في ارض حوران فمات منهُ كثير من البرد »

وقال ايضاً يذكر حوادث السنة ١٧٧٨ :

« وفي هذه السنة في ١١ كانون الاول وقع ثلج عظيم حتى بلغ حدود البحر بيتف من شبر وفي دير القمر عن ذراع ونصف »

ومما ورد في نسخة مكتبتنا الشرقية (ج ٢ ص ٣٣٧) ولم يدوَّن في النسخة المطبوعة ما حرفه يذكر تاريخ السنة ١٢٠٣ هـ (١٧٩٨ م) :

« في هذه السنة صار ثلج قوي حتى صار في ساحل البحر نصف ذراع وكان الحرير سعر الرطل ٢٣ غرشاً وكيلة الحنطة سعر ٣٢ »

هذا ما حصلنا عليه من آثار التاريخ وفيه دلالة على انّ سقوط الثلج في السواحل مع ندرته ليس بالامر الغريب . ولعل سائلاً يسأل : وهل في سقوطهِ خيرٌ او ضيرٌ . الجواب عليهِ انّ مجرّد هبوط الثلج لا يدلّ على بلايا خاصّة بل هو الى الخير اقرب على ما جاء في مثل بعض جهات لبنان « اذا ثلجت فرجت » . والحقّ يقال انّ في

تراكم الثلج عدة فوائد فانَّ الثلج بسقوطهِ ينظف طبقات الجوّ من الجراثيم القذرة ويقتل الهوامّ والحشرات كالبعوض والذباب والقمل والهاموش والخ

ومن فوائدهِ انهُ اذا غطَّى الارض يصون الحبوب المزروعة ويمنع عنها البرد الجويّ فلا تتلف . ومنها انهُ على خلاف السيول لا يجرف التربة الجيدة من اعالي الجبال بل يحميها بنفوذ مياهه في اعماقها حتى تُروى بمياهه عند ذوبانهِ (اشعيا ف ٥٥)

وكم في الثلج من العجائب في تكوينه في طبقات الفضاء . اذ تتصاعد الابخرة من الارض والبحر الى اعالي الجوّ فاذا بلغت علوًّا معلومًا فصادفت درجة واطئة جدًّا من الحرارة تبلورت تبلورًا تامًّا كالابر الدقيقة فتتصل بعضها على اشكال عجيبة هندسيَّة اذا فحصها الانسان بالمجهر رآها على صور شتى وابدع مما يمكن الصور تصويرهُ من نجوم مسدسة الزوايا مختلفة الاغصان في غاية الضبط كأنها رُسمت بالمسطرة والبيكار فسبحان الخالق الذي عدد العجائب في الكائنات ليوقفنا على لمحة من قدرته غير المتناهية فبكل صواب يدعو الكتاب الثلج الى تسبحة الله

وكم يجد المتلهون بالثلج سببًا لترويح البال واللعب فيتضاربون بكراته او يسيرون على جليدهِ . وقد رأينا احد ابناء كليتنا الذي اسرع فكدس الثلج واصطنع منهُ تماثيل جميلين غاية في الدقة والاتقان كأنها نُحتا في الرخام فأتى كثيرون لمشاهدتها

وما قولنا على ما ينفعنا به الثلج اذ يخزن لنا مياهه الباردة الصافية في كهوف الجبال فتسيل الينا طول السنة ولاسيما في فصول الصيف واشتداد الحرّ ولولاه لنضبت العيون وانقطع عن الحيوان اعظم مواد حياته . وربما نُقل منهُ الى المدن الساحلية كميات وافرة يتهنأ بتبريدها الشاربون

وفي الثلج للادباء موضوع يثبه مخيلتهم ويشحذ قريحتهم . ولعل اقدم ما ورد في ذلك ما جاء في الكتب المقدسة قال ايوب (٣٧ : ٦) انهُ تعالى يأمر الثلج فيمتثل لامرهِ ويسقط على الارض . وقال النبي والملك داود (مزمور ١٤٧ : ١٦) عنهُ عزَّ وجلَّ انهُ « يعطي الثلج كالجزة وينثر الصقيع كالرماد » . وروى ايوب عن لسانهِ جلَّ اسمهُ يفتخر بما يخزنهُ للبشر من الثلج فقال : « هل اخترقت الى خزائن الثلج ام عاينت خزائن البرد التي ادخرتها الى اوان الضرّ . . . هل للمطر من اب ام من ولد نقط الندى . من بطن من خرج الجمد ومن ولد صقيع السماء » . وجاء

في سفر يشوع بن سيراخ في وصف الثلج ما يستحسنهُ الادباء ويعدُّونهُ من الكلام الشعري (٤٣: ١٩–٢٢) قال: « يذري (الرب) الثلج كما يتطاير ذوات الاجنحة والحدأة كنزول الجراد تُعجب العين من حسن بياضه ويندهل القلب من مطره ويسكب الصقيع كالملح على الارض . . . » . وكم تغنّى الكتاب بشدَّة بياض الثلج فذكر الانجيل انَّ ثياب المسيح يوم تجليهِ اصبحت بيضاء كالثلج . ومثلهُ الملاك الذي كان عند قبرهِ كان ثوبهُ ابيض كالثلج (متّى ١٧ : ٢ و ٢٨ : ٣) . وقال اشعياء النبي في ما ينبئهُ الله من الغفران للتائبين (١ : ١٨) : « انهُ ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج » . ومثلهُ في المزمور الخمسين : « تنضحني بالزُّوفى فأطهر وتغسلني فأبيضُّ اكثر من الثلج » . وقال سليمان في امثالهِ يذكر أذى بَرد الثلج وفطنة المرأة القويَّة تلافي اضرارهِ (امثال ٣١ : ٢١) : « لا تخشى على بيتها من الثلج لأنَّ اهل بيتها جميعهم لابسون الحُلل »

وفي شعر ادباء العرب ما يحسن بنا ذكرهُ قال الوزير ابن عباد :

أقبل الثلجُ في غلائل نورٍ يتهادى بلؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ الهواء صاهرتْ الار ض وذاك النثارُ من كافورِ

وقال السريّ الرفاء

اهلاً بمن عارض ترك الدنيا بياض مرتبه غرابا اسحما
نحرت به الارياح وللهِ تلحو فيها بأجياد الغصون مرقّما
وكأنَّه عبأتْ تربه برقه سحائبهِ فرمت به فتقدّما

وقال بعضهم

كأنَّ دقيقَ الثلج عند وقوعهِ على الارض قمرٌ او دقيقٌ يغربلُ

ولآخر :

وكرسف يُندفُ في الهواءِ
منتشرٍ لم يُندَفْ في سنواهِ مثل غبيِّ الفضة البيضاء

وقال كشاجم وهو احسن ما قيل في وصف الثلج :

ألثلجُ يسقطُ ام لجينٌ يُسبكُ ام ذا حصى الكافور ظلَّ يفرَّكُ
راحت به الارض الفضاء كأنها من كلِّ ناحيةٍ بثغرٍ تضحكُ

اورق على خضر الغصون واصبحت كالدر في أعشب الغصون تُسلك
وتزين الاشجار منه ملاءة عما قليل بالرياح تُفكك
كانت كمرود الهند مزيا فانكشت في لون ابيض وهو اسود احلك
والجو من نزع الهواء كأنه ثوب ممزق تارة ويمسك
فاليوم يؤذن بالدمعة انه سيظل فيه دم الغزلان ويسفك

فلذا وافضل من سفك دم الغزلان انقطاع الانسان الى امور بيته والعدالة الى ربه في مثل ذلك الوقت

هذا ونسأل الله ان يكون هذا الثلج زائد سلام وخصب بإذنه تعالى

ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات

للاديب سكندر شوران البيروتي

ان في اعمال الحيوانات والحشرات صغيرها وكبيرها ما يحمل على العجب ويقف امامه الانسان حائراً مندهلاً فان بعضها كالنحل والنمل تبدي براعة غريبة ومعرفة عجيبة في مزاولة الاشغال واتقانها فهي تجتمع جماعات جماعات يسعى كل فرد منها لصالح الجماعة ويعمل خيرها ولو نظرنا الى ذوات الأثدية لرأينا فيها من الانعطاف والحب لصغارها ما يذهل العاقل ويسترق البصير وكم من امور عجيبة في الطير التي تبني اعشاشها وتحتضن بيضها وتغذي فراخها واذا شعرت اسرابها بقدوم البرد تغادر مساكنها الى حيث تجد الشتاء اخف وطأة وألطف برداً ومثلها الحشرات التي تعتني بالدودة التي تخرج من بيضتها وتعد لها قوتها . فاذا رأى الانسان كل ذلك تبادر الى ذهنه قوله : اليس عند هذه المخلوقات شعاع من نور العقل الحقيقي ؟

ولكن لا يسوغ للعاقل ان ينخدع بالمشاهدات فيحكم عليها قبل ان يدرسها درساً مسهباً ويرى ما هنالك من الحقيقة والصواب . وقد تقدم لنا بحث في غير هذا المكان عن بعض ميزات الغريزة اثبتنا فيه ان اعمال الحيوانات والحشرات انما ترمي الى حفظ البقاء ودوام النوع فتقدر اعمالها على قدر حاجتها ولا تستعمل من الوسائط

كما يلوح الا ما انطبق على غاية مطلوبة فلو تتبعنا اعمالها من كثب باخلاص وصدق نية لتبين لنا حينئذٍ مبلغها من الفهم والادراك — ان كان ثمّ فهم او ادراك — وعليه فاننا سننظر في اعمال بعض هذه الكائنات ونضرب لذلك امثالاً من الحشرات المألوفة وغير المألوفة ونتتبع في مقالنا هذا بعض الاختبارات العديدة التي اجراها العلّامة «فابر» في الجاهل من طبائع الحيوانات وعوائدها

يقول الاذيون : ان كل جماعة تدلّ على اتحاد إرادات الأفراد في سبيل النفع العام وان النحل والنمل تعيش كذلك فهي اذن جماعات حقيقية تسعى كل افرادها لخير مشترك فهناك اذن قوة مدركة تدير امورها وترشدها الى صلاحها . فلله درّهم هذا القياس المنطقي الذي لو عرضناه على محك العقل لسقط من تلقاء نفسه ولم يثبت فقد وهم الاذيون في قياسهم وخبطوا فيه خبط عشواء متشبثين بأوهى من خيط العنكبوت

نعم اننا لا ننكر ان النحل تعيش جماعات وانها تنتج الشمع وتجمع العسل وتربي نسلها وتقسم اشغالها وان لها يعسوباً تسميه ملكة وان عندها العاملات وغير العاملات وخلاف ذلك من الامور العجيبة ولكن أتصنع ذلك بقوة التمييز او تجري عليه بمقتضى إرادتها ومعرفتها لخيرها وهل هنالك عقل يسوس تلك المملكة الصغيرة ويدير شؤونها ؟ أليس يعسوب النحل هو القائم بتدبير الرعية ؟ كلّا ثم كلّا فان ملكة النحل ما وُجدت الّا لتضع البيض فما هي الا آلة عمياء ، ولو اضطرت الى عمل غير هذا العمل اظهرت من الحمق والجهل بمكان حتى انها لا تقوى على تناول الطعام بنفسها فتقوم بتغذيتها بعض العاملات

ولعلّ متفلسفاً يقول : ان هذا من ميزات الملوك فانهم يكثرون من الخدم والحشم في بلاطهم . أجل لكنّ الملك لو زُجّ في حبس وتخلّت حاشيته عنه فتضوّر ولديه من الطعام ما يدرأ به هجمات الجوع ومخضّ الموت لما تأخر عن تناول قوته بيديه حضر الخدم او لم يحضروا اما ملكة النحل فانها تموت جوعاً والقوت متوفر لديها لان من غريزتها ان لا تقتات بنفسها بل ان تُطعم وليس عندها من العقل ما يقوم مقام الغريزة فتتناول الطعام وتحيا فهي هكذا خُلقت وهكذا تظلّ ابداً ومن ثمّ نرى ان المعتنين بالنحل اذا ارادوا ان يجتنبوا التزاوج بخليهم وطلبوا اجناساً أخرى من غير بلادهم وضعوا

ملكات النحل في اقفاص صغيرة مشبكة ووضعوا فيها معها شيئاً من العسل يكون لها زاداً لطريقها ولكنهم لا يغفلون ابداً عن ان يجعلوا في صحبتها بعض النحلات العاملات لتقوم بتغذيتها والا ماتت الملكات جوعاً والقوت متراكم لديها ليس لها الا ان تتكلف تناوله وهي لا تفعل . فكيف يفسر الاديون ذلك او كيف يعللون هذا الخلل في ملكة النحل

هذا ثم ان اسرابا عديدة من النحل تنفصل من القفير لتبني لها قفيراً جديداً لكن كثيراً منها تتلف لقلتها وضعفها ولو ان عندها مسحة من الفهم والادراك لاستدركت الامر واجتمعت مع اسراب اخرى او بقيت في القفير الاول فنجت من الهلاك المؤكد

او ما يقول الاديون فيما تراه من تقاعد النحل عن الدفاع عن نفوسها ومقاومة دودة فراشة تدعى سوسة النحل (teigne des Abeilles) فانها تدسّ بيضها في محاريب الخلية حتى اذا تفقست افسدت القفير واهلكت القسم الاوفر من سكانه . فلو كان عند النحل شيء من ادراك الاتحاد كما يزعم الزاعمون لاجتمعت على تلك الدويدات واهلكتها عند خروجها من بيضتها

ومن العجب ان تتغافل النحل عن هؤلاء الاعداء وتعرّض نفسها للموت في هجومها على عدوّ ربما كان عدواً وهمياً فتلسعه بحمّتها وتموت وهي لا تتعرّض لتلك الدودة الصغيرة قبل ان تنسج خيوطها على اقراص الشمع وتعيث في القفير فساداً . فلو كان للنحل ذرة من العقل كما يقولون لما كانت تتحد وتتعاون لتطرد من امام مدخل القفير الجرذون الذي يتردد منها عليه في دخولها الى القفير وخروجها منه . لا ليس عند النحل عقل وليس عندها الفة حقيقية وان هنالك الا غريزة تختلف في بعض احوالها عن غريزة بقية الحيوانات ولكنها لا تزيد على الوهم . كذلك قل عن بقية الحشرات والحيوانات فان في غرائزها زيغاناً وضلالاً كما تحققت ذلك في جماعة النحل

فلنعتبر الآن طائفة النمل وهي تعيش ايضاً مجتمعة فذهب بعضهم ان لها عقلاً تنقاد له وتعمل به وما هنالك الا غريزة عجيبة تساعدها على انشاء قريتها وسعي نجوعها من النمل واستخدامها في امورها والاعتناء في جمع اقواتها وحفظها ولكنها لا تزيد على النحل فهماً وادراكاً . انظر هذا النمل الذي يشمّ رائحة السكر وراء الحدود في

الارض فاذا وجد خيطاً او قشةً فوقة تبلغه الى السكر جرى عليها . امّا اذا نزعنا تلك القشة او ذلك الخيط عجزت النملة من تلقاء نفسها عن وجود حيلة لارجاع القشة او ما يقوم مقامها للسير فوق ذلك الجسر الصناعي فتبلغ الى السكر الذي تشمّ رائحته من كثب . أَما كان يمكنها وهي التي تجمع القش في بيوتها ان تلاء ذلك الاخدود الصغير ثمّ تمرّ عليه آمنة . أَما تقوى وهي التي تنقب الارض وتعمل الأنفاق وتشكل بيتها على صور متعددة ان تحفر نفقاً تمرّ به تحت الارض فتصل الى ذلك السكر ؟ لا لعمري ان النمل لا تستطيع تحريك ثلاث ذرات من الرمل لعمل يدلّ على العقل والادراك وغريزتها اليوم كما كانت يوم خلقها الله دون ادنى ترقٍ .

بينما كنّا نكتب هذا الفصل في السنة ١٩١٤ اذ عثرنا على مقالة نشرتها مجلة كوسموس في تاريخ ١٥ ايار سنة ١٩١٣ ذكرت فيها نتيجة ابحاث المسيو كورنتز احد مشاهير الباحثين عن طبائع النمل يؤخذ منها انّ ما يتناقله الناس حتى الكثير من الكتبة عن معاونة النمل بعضها لبعض حيث تجتمع اثنتان او اكثر منها للقيام بعملٍ ما فهذه تجرّ الثقل وتلك تدفعه ريثما يتمّ العمل بالتعاضد كما يفعل العملة في الناس ذلك كلّهُ لا اصل له ولا سند وانّما هو مجرّد وهم الناظر الذي ينسب الى النمل ما يراهُ في البشر . وقد عدّد المسيو كورنتز امتحاناته ليتحقّق هذا القول فكانت نتيجة ابحاثه معاكسة لهذه الروايات الوهمية اذ وجد النمل ليس فقط لا تتكاتف افرادهُ وتتساعد بل على عكس ذلك يخالف بعضها بعضاً في الغالب فليس بينها أُلفة او عمل اجتماعي كما زعموا واذا وُجد شيء من ذلك فمن باب الصدفة والعمل الافرادي الشخصي ليس الّا

فكيف يزعمون بعد هذا ان اجتماعات النحل والنمل تدلّ على الفهم والادراك وتثبت الاتحاد في الاعمال والاجتهاد في اتقانها والسعي وراء غاية معلومة ؟

ثم ان لكل جماعة سلطةً تأتمر بامرها وان لكل فردٍ في الجماعة حقوقاً وواجبات يمكنه — ان كان حرّاً — ان يعمل بها او يخالفها . فهل ترى شيئاً من ذلك عند النحل والنمل وهما اكثر الحشرات اجتماعاً لا لعمري فان اليعسوب الذي نسميه ملكةً للنحل ليس له اقلّ سلطة على غيره ولكنه يستعمل غريزته ويشتغل مع الجماعة كما خطّت له يمين العلي منذ الازل فهو يشبه البيض كأنه آلة لتوفير النسل ليس الّا

ثم ان الغالب على فكر الناس ان تربية الصغار تختص بالوالدين لاننا نشاهد ذلك في الناس وفي كثير من الحيوانات ولكنه على خلاف الامر في غيرها من الحيوانات الدقيقة كما ترى في النحل والنمل فان هذه المهنة الخطيرة تختص عند جماعة النحل بفئة لوحدها وهذا من تخصيص الطبيعة العمياء التي لا تفقه عملاً ولكن يداً الهية تديرها من ورائها وتهديها سبيلها ولا تكلفها مشقة التفكر . فكما ان الطير تتبع غريزتها في حضانة بيضها وتربية صغارها وبنات اناثها كذلك النحل والنمل تتبع غريزتها بتغذية دودها او فرخها وهيهات ان تجري في عملها على مقتضى شريعة اجتماعية يمكنها اتباعها او التنكب عنها . نعم ان اعمال النحل والنمل في دائرة غريزتها باهرة تبعث على الانذهال والتعجب . ولكن خارجاً عنها نجد الغباوة والضلال

ولو رافقنا السير فابر في بعض امتحاناته تأكدنا زيغان الغريزة وجهلها المطبق على رغم ترقيها في بعض الحيوانات

وقد اجرى السير فابر عدة اختبارات في غيرها من الحشرات نجد في ذكرها ما يوقفنا على بلاهة الحيوان حتى في اكمل مظاهر غريزته

هاءنذا بحشرتين قد برعتا في نسج الفيالج اعني بهما دودة القز ودودة فراشة زهية الالوان يدعونها بطاووس الليل . فلنعتبر اولاً هذه الفراشة التي تفوق على سواها من الفراش بالكبر اذ تبلغ سعة جناحيها الى ١٥ سنتيمتراً . وهي معروفة في اقطارنا تراها في الربيع تطير بين شجر اللوز والدردار والتفاح والخوخ الخ لاغتذاء دودتها بورق هذه الاشجار . واذا قدم الصيف نسجت فيلجتها على مقربة منها فتخرج الدودة من الفيلجة في وقت الربيع . والدودة هذه غاية في الحسن فضلاً عن كبرها ترى على جسمها ذي الخضرة الناصعة دوائر منتظمة ملونة تكللها اهداب سوداء في وسطها نقط زرقاء كاللازورد كأنها اللآلئ المرصعة

فدودة هذه الفراشة تحيك لها فيلجة كبيرة من الحرير قاتمة اللون اسفلها اكبر من رأسها تختلف عن فيلجة دود الحرير في هيئتها . فان فيلجة القز مسدودة الطرفين لا تستطيع دودتها الخروج من حبسها ما لم تثقبها . على خلاف دودة طاووس الليل فانها اذا شرنقت تدع لها منفذاً لتخرج من مكمنها على صورة فراشة كأنها عالمة باحتياجها الى ذلك المعبر عند خروجها وانها ليس لها علم دودة القز في ثقب الفيلجة

والثقب المذكور تجعله في الطرف الأدق . ولئلا يدهمها عدوٌ فينفذ اليها من ذلك الثقب تحتاط لنفسها بنوع عجيب فانها كلما بلغت الى الثقب من جميع جوانبه تنفث من لعابها خيطاً الى خارج الفيلجة دون ان تلصقه وتكرر ذلك الى آخر عملها فتقوى الخيوط الخارجة شبيهة في جمودها ورخاوتها باسلاك الفخ الذي يُمَدّ للفأر حتى ينفذ الفار الى الباطن دون ان يستطيع الخروج وانَّ هذه الخيوط هي بالعكس جامدة في الخارج لا تستطيع حشرة أخرى ان تنفذ فيها لكنها رخوة من داخل بحيث يمكن الدودة ان تفتحها اذا ضغطت عليها . وهذا لعمري من ابدع اعمال غريزة الحيوان

وان قال القائل انَّ ثمَّت اثراً من الفهم والعقل أنكرنا ذلك واثبتنا قولنا بالامتحان لنبيّن انَّ تلك الفراشة لا تدري مـا تصنع ولا تعقل السبب الموجب لنثرٍ ثقبها . فها نحن نقصّ الخيوط التي تحجب ذلك الثقب ونوسع الثقب قليلاً . أفلا ترى انَّ الدودة لو كان فيها ذرةٌ من الفهم لأسرعت الى تلافي ذلك المصاب واستدراك الخلل لتسدّ الثلمة وتصلح ما فسد منها بتخصيص مـا بقي عندها من النسج وترصد الباب امام كلّ معادٍ . الّا انها لا تكترث للخراب وتواصل عملها ذهاباً واياباً دون ان تحيد البتة عن خطّها كأنَّ فيلجتها صحيحة . فمن لا يرى بهذا العمل جهلاً وحمقاً ولديها من الحرير ما يكفي لاصلاح الفساد

هيَّا بنا الآن نوجه النظر الى دودة الحرير . فهذه تنسج فيلجتها مُصمتة دون ثقب فيها تُعِدُّهُ لخروجها . فكيف تخرج اذن من قبرها ؟ . قد خوَّلتها الطبيعة سلاحاً يمكنها من تلك الغاية وانَّ ذلك ايضاً وهمٌ خاصٌ وغريزة لا دخل فيها للعقل . والسلاح المذكور هو عينها فبقرنيَّة هذه العين تحكّ نسيج فيلجتها بعد ان تبلّهُ بلعابها ولا تنقطع عن الحكّ اياماً على مقتضى غريزتها الى ان تفتح لها بعد شقّ النفس منفذاً تخرج منهُ الى فضاء الجوّ . ولكن دَعْنا نوفر عليها ذلك التعب الشاقّ فنفتح لها منفذاً مناسباً او ثقباً تحت المكان الذي تحكّهُ الدودة لتخرج منهُ . فلا ريب انك تقول انَّ الدودة تكفّ عن العمل وتخرج من المنفذ الذي فتح لها . كلّا ثمّ كلّا بل تبقى في حكّها المألوف وهي تكدّ وتكدح ولا تلتفت الى خلافه الى ان تخرج من الباب الذي هي تفتحهُ . فانظر رعاك الله ما هو مبلغ ادراكها !

دونك امتحاناً آخر يوقفك على جهل دودة القزّ بكل ما يخالف غريزتها الفطريّة .

لُفَّ فيلجتها بورقة رقيقة دون ان تمسّ الورقةُ جلدَ الفيلجة فيبقى بينهما فضاء نحو ٣ سنتيمترات حتى اذا حان وقت ثقبها للفيلجة وخروجها منها تجد امامها هذا الحاجز الجديد وهو ارق سمكاً من فيلجتها واسهل فتحاً. فيا تُرى ألا تحاول فتحة لتخرج وذلك عليها امرٌ قريب المنال لاسيما اذا بللتَ الورق الملفوف . ولكن هيهات ان تفطن لذلك وهي تموت دون مباشرته لأنّ غريزتها لا تتجاوز حكمها الفيلجة ليس ألّا هذا ما لم يُلصق الورق بالفيلجة فتخرقه صدفةً دون تعمّد

وان شاء اهل لبنان يمكنهم ان يُجربوا الامتحان الآتي حيثما يوجد في الجبل احراج من الصنوبر فانّ من يمعن النظر في اغصان الصنوبر ربما رأى في اطرافها كتلةً بيضاء تجتمع حول إبرها وهي على شبه كيس من حرير ذي طبقات عديدة يركب بعضها البعض . فان فتحت تلك الاكياس وجدت فيها عدداً عديداً من الدود الأزغب المعروف بدود الصنوبر المتتالي (Chenilles processionnaires) لانها اذا خرجت من عشها لا تخرج الا متتابعة الواحدة تلو الاخرى وهي كبقية الدود تنقلب في آخر امرها الى فراشة واما عشها فهو منزل اشتراكي بدأت ببنائه منذ خروجها من البزرة ثمّ توسعه وتُفسح جوانبه كلما كبرت وعظمت فهي فيه في امان لا تخاف الهواء العاصف ولا المطر الغزير بل تتّقي به ثلج الشتاء وبردهُ القارس ولا تخرج من مقرّها الّا في الايام الدافئة حيث يكون الهواء ساكناً والشمس ساطعةً واذا خرجت مجتمعة يترأس الموكبَ دودةٌ تتبعها الدودات الاخرى . وقد علّمتها الغريزة امراً نادراً في بقيّة الحشرات وهو ان تخطّ عند ذهابها من العشّ خطاً تأمن معهُ ضلال طريقها عند رجوعها الى مقرّها فكل دودة تترك على اثرها خيطاً رفيعاً من الحرير لا يلبث ان تجتمع اليه خيوط رفيقاتها السائرة وراءها فاذا همّت بالرجوع سلكت الطريق التي رسمتها فتأمن الضلال . فلعلّك تعزو ذلك الى عقل او فهم يرشد الدودة الى هذا العمل احتياطاً للمستقبل . ولكن لا نتسرع بالحكم بل لنجرِ عليها مع العلّامة فابر امتحاناً صغيراً لنكشف جلية امرها ونستطلع مكنون سرّها :

أحضرَ المذكور الى بيته عدداً من هذه الاعشاش وغرس حولها في الرمل اغصاناً من الصنوبر فتلقّات منها عند خروجها في ايام الصحو وكان يتفقّدها من وقت الى آخر

حتى يظل قوتها طريئاً مريئاً . فخرجتْ يوماً كمألوف عادتها وسارت متجهة الى قحف من فخار كان هناك قد غُرس فيه نبات في محضنة فطلع الموكب على القلة واستدار حولها وكانت دائرتها تقارب المتر والنصف متر فلما التمّت الدودة دورتها وكادت ان تصل الى المكان الذي صعدت منه الى القلة قطع المسيو فابر تلك الخيوط المتصلة بالارض فظلّت تدور حول القلة سبعة ايام لم تتفكر في ان تتخلص من تلك الورطة التي وقعت فيها وكانت اذا جاء الليل تتجمع بعضها على بعض وتتراكم كما تفعل في اعشاشها لكنها اذا طلع النهار وبزغت الشمس تعود الى ما كانت عليه من الدوران حتى هلكت . فهل في ذلك ما يدلّ على العقل والادراك او ليس هو برهاناً جليّاً على ضلال وَهم الحيوان . ولا بدع لأن الله لم يمنحها غير هذه الطريقة الوحيدة لتوفي غايتها فاذا حادت عنها عجزت عن سواها حتى تموت دون ان تستطيع مخالفتها

قد سبق لنا وصف حشرة عجيبة الشكل عجيبة العمل تحسن الصيد والبناء وهي المسمّاة بيلوباي (Pélopée) فذكرنا كيف تودع بيضها في خلايا هذّبها وتعطف على نسلها حتى قبل ولادته فتعين له مأكلا يجده عند خروجه من بيضته . ومما تزاد الاعناكب تصيدها الامّ فتخزنها في كلّ خلية حيث وضعت بيضة من بيضها ولا تزال تكدس هذه العناكب فوقها حتى تملأ الخلية فتطيّنها . فمن شاهد عملها حسبها تجري بموجب الادراك والفهم . وليس الامر كذلك . فانها حقيقة لا تدري ما هو بيضها ولا ما هو العش . والدليل على ذلك ما اثبته المسيو فابر بالامتحان فانه بعد وضع الحشرة بيضتها انتهز فرصة غيابها لصيد العنكبوت فاختلس البيضة . فلما عادت الحشرة بصيدها لم تحس بفقدان بيضتها بل واصلت عملها وعبّت الطعام كأنّ البيضة في الخلية . فاخذ المسيو فابر ينزع من الخلية العناكب المصطادة وهي تداوم على اصطيادها وايداعها في خلية فارغة من بيضها دون ان تودعها بيضة اخرى . ثمّ لم يزل المسيو فابر مدة يومين ينزع من الخلية كلّ صيد جديد تأتي به الحشرة والحشرة لم تتفطن الى ذلك بل طيّنت عند انتهاء زمن العمل تلك الخلية الفارغة وسدّتها كما كانت تفعل بالخلايا الاخرى . فيا لله من هذا الجهل والحمق وهو ادلّ دليل على خلوّ الحيوان من كل مسحة فهم وادراك . والعجب العجاب انّ هذه الحشرة لا يفوتها شيء من معرفة العش ومكانه وهيئته ولونه

فتبسط عليه الملاط وتصقلهُ ولا تنبي شيئاً سوى الجوهر والاصل اعني بيضتها والزاد المصمود لها وكلاهما قد سُلب ولا تجزأ انها تنكدهُ وتتبع سُدى دون جدوى . فاي ضلال اعظم من هذا . بل يبلغ حمقها الى ما فوق ذلك فان المسيو فابر عمد الى عشها وترتهِ بتمامهِ ولم يبقَ منهُ على الحائط غير حافتهِ ودائرتهِ الدالة على مكانهِ وظهر الحائط بلونهِ وجصّهِ . فما كان من امر الحشرة الام الا انها عادت الى حيث كان العش ومدت الطين الذي اتت بهِ كأنها تسدُّ عشها الضروع . وقد كرَّر المسيو فابر هذه الاختبارات مرارًا والعجب يأخذ منهُ كل مأخذ لما يعاين من حماقة الحشرة المذكورة

وما تحققهُ في هذه الحشرة اختبرهُ في كثير غيرها . منها الحشرة المسمَّاة سفكس (Sphex) التي تحاول مع صغرها صيد هامَّة كبيرة تُدعى افيبيجار (Ephippigère) وهي نوع من همج الهوام من الفصيلة المتناسقة الاجنحة كجنس الجراد والانثى بطنها اضخم وبطن انثاها يشبه سيفاً طويلاً وهو مبيضها تغرس بهِ بيضها في الارض . فكيف يا ترى تستطيع هامة السفكس ان تقوى على هذه الجرادة فتنفث فيها سمّها وتجرّها الى وكرها بقرنيها . ذلك امر عجيب نحن في غنى عن ايضاحهِ ومما لا شكَّ فيهِ انها تفوز ببغيتها وتجعل فرداً من صيدها في كل خلية تودعها بيضةً من نسلها ثم تسدُّ الخليَّة . وسياق هذه الاعمال تكررهُ ابداً ولا تحيد عنهُ شعرةً

هلمَّ بنا الآن نرصد حشرة السفكس وهي تجرُّ فريستها الى وكرها بقرنيها والقرض بقصّ نصف القرنين فنلحظ انَّ السفكس تعمد الى ما بقي منهما فتعود الى السحب . فلنقصّ الآن القرنين من اصلهما . واذا بالصيادة في حيرة وانذهال لا تدري كيف تجرُّها الى وكرها . ولكن لديها واسطة سهلة وهي ان تسحبها بقوائمها الا انها لا تفعل وما السبب ؟ الامر واضح لانَّ حشرتنا هذه لم يُطبع في غريزتها غير هذه الطريقة اعني جرَّ فريستها بقرونها ولذا فُقدت القرون اهملت صيدها وعمدت الى غيرهِ حتى اذا ظفرت بهِ تعود الى سحبهِ كما مرَّ ثم تودعهُ في عشها مع بيضة من بيضها

وها هي الآن تستعدُّ لسدّ عشها . فدعنا ننزع من ذلك الوكر بيضتها مع فريستها فبعد قليل نرى حشرة السفكس مقبلةً الى عشها مع الملاط اللازم لسدّهِ . فلا احد يشكُّ انها اذا رأت العشَّ فارغاً تتوقف عن سدّهِ . كلا ثم كلا بل بعد فحصها لهُ كأنها

وجدتْهُ تامَّ الاهبة تباشر بسدِّه دون ان تلحظ شيئاً من فراغه . فيا للجهل المطبق ! ويا للبله ! فاين ذاك الحذق في الصيد وتلك البراعة في ابتناء العش ؟ واين . واين . . فما كان ذلك الّا وهماً لا يخرج عن حدود الفطرة الغريزية

ونجد وهماً كهذا في الدجاجة الداجنة . فانها اذا عمدت الى مكان تبيض فيه بيضتها الاولى لا تعود تقصد غيره بعدها لانّ وهمها يسوقها اليه فتحضن فيه كل بيضها . خذ الآن كرات من الجص او الصيني وابدلها من بيضها تجدها عائدة الى حضانتها اذ لا تعرف ان تميّز بينها وبين بيضها بل ولو انفقت بيضها جميعه وتركت فيها فارغاً لبثت فيه تحضن حيث لم يبقَ شيءٌ من البيض فتشبه بذلك الحشرات السابق ذكرها التي تسدّ اوكارها وهي خالية من البيض والغذاء .

فلنختبرنَّ الآن حشرة اخرى ليست بصيّادة كالحشرات السابق ذكرها ألا وهي الخليقودوم (Chalicodome) التي هي من فصيلة النحل تقوت مثلها صغارها من عسل الزهور الّا ان اخلاقها تخالف اخلاق النحل فانّ خلاياها ليست شمعاً كالنحل بل من الطين اللزج وهي غليظة من الخارج صقيلة بالداخل في رأسها منفذ تمجّ فيه عسلاً كثيفاً غليظاً ثمّ تلقي بيضة فوق ذلك العسل وتفعل ذلك في عدة مخاريب وتسدّ كل مخروب بالطين عند امتلائه ثم تعمد ثانية الى الطين فتطلي مجموع المخاريب المتلاصقة في عدد خمسة او ستة بتراب ناعم تجبله بلعابها وتبسطه على الخلية بسمك سنتيمتر واحد فيجمد الطين ويصلب بحيث لا تنفذ فيه السكين وبذلك تقي صغارها هجمات العدوّ وآفات الامطار والثلج . وربما بنت اوكارها على الحجارة في اماكن مكشوفة للحرّ والبرد فلا تفعل فيها انواء الجو لمتانتها وحسن صنعها . أفيوجد اعجب من هذه الغريزة او ليس ترى في فعلها اثراً من التعقّل والفهم ؟

ومما يزيدنا عجباً من امرها ما حققه المسيو فابر بالاختبار كما رويناه في المشرق (١٧ : ٥٩٧) وذلك انه كان يحمل هذه النحلة في علبة وهي عادة لا تبتعد عن عشّها اكثر من مئة الى مئتي متر فيلقيها الى مسافة ثلثة او اربعة كيلومترات في الاحراج وعلى عكس وجهة الهواء بحيث لا تجد لزورها من اثر ثمّ يطلق سبيلها فكانت للحال تعود الى اعشاشها وكان يتحقق هويتها بنقط حمراء يصبغ بها ظهرها . وقد كرّر هذا الاختبار تلبية لدعوة داروين عينه الذي اندهش من هذا الامر الخارق لأوانه

على ان المسيو فابر الذي كشف هذه الخواص العجيبة في هذه الهامة اثبت ايضاً ضلال وهمها وذلك بعدة امتحانات

وجد خليةً بنتها حشرة الخليقودوم على حصى متفرقة ونقلها عند غيبتها الى مسافة لا تتجاوز المتر الواحد فلما رجعت الامّ اخذت تفتش على العش في مكانه الاول فلم تجده فدارت حوله الى ان وقفت عليه حيث نقل لكنها ظنته عشاً غير عشها فتركته وذهبت ضالّة عنه

وفي النحل البيتي مثل ذلك فانك ان حوّلت مدخل قفيرها عند غياب بعضها وابعدته عن مكانه الاصلي نحو عشرة سنتيمترات الى ٥٠ س ترى النحل عند رجوعها متحيّرة ترمي بنفسها على الباب الاوّل واذ لا تجد منفذاً تطير الى مترَين او ثلاثة امتار لتستبدي ثانيةً ثم تعود الى الباب القديم وتكرّر ذلك مراراً دون ان تلقى الباب المتحوّل عن مكانه قليلاً وهي مع ذلك تبعد عن القفير الى خمسة وستة كيلومترات لتجني عسلها دون ان تضلّ سبيلها فيا للعجب .

وقد استبان المسيو فابر ضلال وهم حشرة الخليقودم بطريقة اخرى . وجد منها عشين على مسافة قريبة من بعضها فبدل موضعها فجعل الواحد مكان الآخر في غيبة امها . فرجعت كلّ واحدة منها الى مكان عشها الاول واخذت تتمّم بالخلية كأنها خليتها دون ان تفرق بين عشها وعش قرينتها وجعلت تهتمّ به وتصلحه وتسدّ بلاطها وتتابع شغلها لا تقتفي حالة العشّ الجديد بل حالة العشّ القديم كما انها تمدّ بيضة جارتها كبيضتها والخليةُ خليتها . هذا اذا كانت سبقت فباضت اما اذا لم تبض ووجدت في هذا العش تلك البيضة الغريبة فانها كانت تنزعها وتلقيها خارجاً كأنها بعض الاقذار

فكانَ ذلك اصدق برهان على انّ الأُمّين تعملان كآلة صمّاء فمن يستطيع ان ينسب اثراً من العقل لهذه الحشرات ؟

وان شئت دليلاً آخر على ضلال غريزتها اهدم جانباً من حافة خليتها وقت بنائه تَرَها تعود فتصلحه لأنّ ذلك داخل في سياق وهمها . ولكن اذا انتظرت ريثما تنتهي من بناء الخليّة وتقويتها بالمال ثم ثقبت الخليّة من اسفلها فيسيل العسل المخزون وتصبح الخليّة فارغة فنحلة الخليقودوم لا تكترث لذلك بل تبيض فيها ثمّ

تسدّها وتطيّنها كأنّ الزاد متوفر لنسلها فحسبُها كحمق السنكس التي سدّت مكمنها مع فراخه من البيضة والغذاء.

وخذ ايضاً البرهان الآتي الدالّ على ضلال وهمها . الرز في نسلها وهي تخزنه قشة تبدو الى ظاهر التخروب فلا تلبث ان تنزعة . ولكن ان شكّكت تلك القشّة بعد نجازها من جمع نسلها وقبل سدّها للغاية فلا تعيدها إلاّ وان تكن القشّة تقذر دودتها بعد نموّها وتعيقها هي عند تطيين الخليّة . وما ذلك الاّ لكون زمن النظافة قد مضى فلا سبيل الى العود اليه

وكذلك لو ثقبتَ ثقباً على جانب الخليّة بعد سدّها بالملاط فوق العسل بحيث تستطيع الدخولَ اليه والعيثَ فيه الحشرات المضرّة والهوامّ السارقة وجراثيم الفساد أ ترى أنّ تلك الامّ التي جدّت وكدّت في ابتناء هذا العشّ لصيانة دودتها وهي الآن فقط سطحها تتغافل عن سدّ ذلك الثقب ؟ نعم لا تكترث لأنّ زمن بناء الجدران قد مضى وانّما تصلح فقط ما أفسدتَهُ من ملاطها السطحي وهي تشتغل فيه لانّ ذلك داخل في سلسلة اعمالها . ومن هذا القبيل نرى فضلا النحلة التي تصلح ما أُفسد من قفيرها عند اشتيار العسل

فكل هذه الاختبارات وكثير غيرها قد اجراها العلامة فابر في الحيوانات الداجنة والطيور والحشرات وراقبها اياماً طويلة في اعشاشها وفي بيته حيث عني بتربيتها وإعداد كل ما يعود الى شروط عيشها ونموّها وتوليدها ونال على كتاباته فيها جوائز الاكادمية الفرنسوية والجمعيات العلمية فبيّن فيها بدلائل لا يمكن نقضها الاستنتاجات الآتية التي سبق لنا الاشارة اليها :

أولاً ان الحشرات الصيّادة عارفة بما يلائم صغارها من الصيد ولا تغلط في تجهيزه ابداً . وكذلك دود الحشرات التي تقتات بالعشب فانّ أمهاتها تجعل بيضها قريباً من النبات الموافق لغذائها فتجده عند خروجها من البيضة معدّاً لطعامها

ثانياً تعرف الحشرات الصيّادة إصلاح صيدها ليكون طعاماً جيداً لدودتها وهي تحسن إصابة فريستها في مقتلها اي في مركز أعصابها بحيث يمكنها نفث سمّها وتخدير تلك الاعصاب دون ان تميتها

ثالثاً تحكم وضع بيضتها على الفريسة بحيث تستطيع الدودة عند خروجها من البيضة ان تباشر أكل اعضاء تلك الفريسة الثانوية وتنتهي بالاعضاء الحيوية ليبقى لحم فريستها طرياً

رابعاً ان الحشرات المختلفة سواء حفرت امشاشها في الارض ام بنتها او نسجتها فبالغ تعرف تمام المعرفة فن البناء الخاص بجنسها وتبني منازلها غاية في الاتقان وتصلح ما فسد منها في وقت بنائها وكل ذلك دون تعليم سابق لكنها بعد تجاوز العمل لا تستطيع البتة العود الى سياق اعمالها السابقة لتستدرك خللاً مهما طرأ على العمل من الفساد

خامساً هذه الحشرات كلها المسماة كما الطيارة لا تدري مطلقاً سبب جمعها للطعام ولا ما هي البيضة ولا الغاية من بنائها للاوكار والخلايا ولا تدرك قطعياً سبب سدها لتلك الاسراب والاوكار اذ انها تسدها حتى عند فراغها من بيضها ومن طعامها

سادساً فطرت الحشرات والحيوانات عموما بقوة وهمها على مباشرة اعمال خاصة كالطير لبناء عشه وحضانة فراخه وإعاشتها وكالنحلة البرية لتجهيز وكرها بالطين ووضعها بيضتها فيه وسد الوكر وقس عليه بقية الحيوانات والحشرات . ولا شك في ان وراء ذلك عقلاً سامياً يدبر هذه المخلوقات بعنايته ويقدر لها اعمالها ويسوقها الى غاية هو يدركها تمام الادراك وانما هي تجهلها كل الجهل .

وكثيراً ما ينخدع المرء بتلك الظاهر فينسب الى الحيوان غاية في عمله وانما الانسان يقيس اعمال ذلك الحيوان على الاعمال التي هو يصنعها لغاية مقررة بقوة عقله . اما الحيوان فخال من العقل وهو مدفوع الى العمل بحسب تأثيراته الحسية او تخيلاته فذلك الوهم او الغريزة تلقها من فضل خالقه . كما ان الانسان استمد من جوده تعالى عقله . والله هو المنعم على كليهما سبحانه عز وجل

الانجيل والسلم العام

بقلم حضرة الخوري بطرس فرح صفير احد اساتذة كلية القديس يوسف

تعدَّدت المقالات على صفحات الجرائد وتكاثرت الخُطَب من على المنابر وتجاذب الخاصُّ والعامّ اطرافَ الحديث عن الحرب واسبابها وعن الصلح وشروطه وجالوا جولةً طويلةً في ميدان السِّلم العامّ وفي الوسائل التي يتدبَّرها مندوبو الدول ودهاقنة السياسة في باريس عاصمة العلم والتمدُّن ليضمنوا للعالم امناً ثابتاً فيظلّ السلامُ مخيِّماً على جميع الامم لا تُطوى بنوده مدى الاحقاب. وما الداعي لاقامة المؤتمرات وعقد الجلسات واحتكاك الأدمغة واجتماع مفكري العالم في عرصات قصر فرسايل الشهير سوى صراخ الاشقياء. وأنين البؤساء الذي تصطكُّ له اذان الملوك وتدمع له عيون الرؤساء. وتتحرَّك عاطفة الشفقة في قلوب الوزراء. صراخ صادر من اعماق الصدور الكئيبة: ألا أنصفونا من الحروب واقضوا على ايامها السود وأطلعوا بدور أمن وراحة تبدّد من ديوه؟ ظلمات مصائبها وغياهب بلاياها - فحسبُنا ما لحقنا من آفاتها وكفانا ما تجرَّعنا من مرارتها

وكأني بسُدة المندوبين الى تقرير الصلح قد أعاروا سمعهم الى هذه الشكاوي وعملت في قلوبهم زفرات المكروبين فاخذوا يكدُّون جبينهم ويسهرون عيونهم ويواصلون الجلسات ويتابعون الاقتراحات فيقول لسان حالهم: ثقوا وأبشروا ستنالوا امانيكم وتحظوا قريباً ان شاء الله برغائبكم

هذه آمال طيِّبة يتفاءل بها ذوو الثقة والرجاء الصالح لكنَّ غيرهم من ارباب السياسة وذوي العقول الراجحة يرتابون في تحقيق تلك الاماني ولا يرون لها سنداً متيناً فيعتبرون الحرب آفة اشدَّ من ان تقوى عليها مقدرة الساسة الجالسين على مقاعد مؤتمر الصلح لأن ما يحرّرونه من التقارير المفصّلة والبنود الصريحة الممهورة بإمضاآت الملوك وتوقيعات الوزراء ربما تحرقها نار القذائف وتمزقها الحسام وقد يفعل السيف ما لا يفعل القلم وكم تغلَّبت القوَّة على الحقّ فلا يجد الحق طريقة لدفع الباطل الاقتبال الدافق فهيهات ان يُستطاع حسمُ داء الحروب وإطفاء جمرتها

وان سألت على مَ يبني هؤلاء حكمهم السيّئ في البشرية وارتيابهم في تمكين السلام في العالم أجابوك : « كيف تُستأصل شأفة الحروب من العالم قبل استئصال اسبابها مع ما يدفع الى إضرامها ؟ وليس هذا بالقريب المنال وان سألت : وما تكون هذه الاسباب ؟ — هي الشهوات والجهل

الشهوات لا يخفى ان مسببات الحروب كثيرة منها استحلال المرء مال غيره وانقياد النفس الى وساوس الطمع وتملّقها بخمرة الخيلاء والتكبّر ونزوعها الى الجور الى غير ذلك من الاهواء التي لا تزال في افكار البشر لاسيما مَنْ علا مقامهم . قال نابوليون في شرحه الوصايا : « ان حروب اليونان والبرابرة الوبيلة سواء كانت اهليّةً او اجنبية كان صدورها من ينبوع واحد اما عن شهوة الغنى او عن شهوة المجد او عن طلب للذات » . وهل يسهل اطفاء هذه الشهوات في قلوب البشر والمرء رقيب العين طامح لا يرى شيئا الا اشتهاه ولا تنتهي نفسه عن شيء طمعا وشرها ولا ينال نصيبا من سلطان الّا ويسمو بنفسه تيهاً واستكبارًا . واكثر ما يكون ذلك ملكٌ صافاه دهر واتاه من الخبرة في امور السياسة ما استوسق له الامر معها واستقرّ له الملك حالفَ سائر الدول فبات في مأمن من انتصارها لاعدائه اذا ما اشتعلت بينها وبينه نيران الحروب . وكثيرًا ما يخرج مثلُ هذا الملك عن رشده فيبغي ويتجبّر وربما سوّلت له النفس الامّارة ان يعبث بدولة اضعف منه ويبغي عليها طامحا ببصره طمعًا فاه ليبتلع حقوقها فتهب تلك الدولةُ وتتألب حول مليكها وتتشبث بكل ما لديها من اسباب الدفاع دفعا للمظلمة عنها . فتتأجّج عندئذ نيران حرب اسعرتها الاهواء البشرية ولا تتناول المدارك آنَ اطفائها ومَن يبيدُ ظلم الانسان ومطامعه

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلّة لا يظلمُ

فامثال هذه الاهواء قد اضرمت المانية وحلفاؤها جذوة الحرب الاخيرة

الجهل وهب ان صيرنا المحال ممكنا ولانت اعطافُ الاهواء البشرية لدة أيضًا لايادي رجال موتمر السلام وانقادت مطواعة الى تقريراتهم بقي مسبَّبٌ لاثارة الحروب عبثا يحاولون ازالته لانّ العقول غالبًا تقف عنده كليلة ومجهودات

النفوس قصيرة ألا وهو الجهل الذي لا تزال ظلمته مخيِّمة على عقل الانسان مهما تناول من العلوم وأدرك من المعارف . فيؤدي به الجهل الى مواطن الخطإ والضلال ومنه الى الاختلاف والتنافر والحروب ولا غرو فانَّ من الثابت ان عقل الانسان قاصر طبعاً عن ان يحيط علماً بالكثير من الحقائق

والتاريخ اكبر شاهد على ان عدداً وافراً من الحروب لم يكن للمطامع والمطامع يدٌ في اضرامها بل قد أشعلها إشكالٌ وغموض فيما يتعلق بحقوق الدول المتحاربة قصرت العقول عن حلِّ عراها المعقدة وقد امسى كل فريق يوقن انَّ الحقَّ بجانبه والبطلَ في جانب الفريق الآخر واذ لا سبيل الى الوفاق فيحكمان بينهما الحسام

ومن الحروب التي اشعل الجهلُ نارها ما جرى بعد موت ملك الانكليز ادوار الشهير بالمعترف اذ قام هرلد الدنركي يطالب بحق الخلافة على عرشه وقام مثله في فرنسا غليوم الفاتح يدعي بالأحقيَّة . فتفرقت في حلِّ المشكل آراء اهل العلم والخبرة ولم يفك عراه الّا الحسام حسمها غليوم بدخوله عنوةً عاصمة الانكليز فتربع فيها على عرش الملك مؤيداً مظفراً

ومن هذا القبيل حرب لويس الرابع عشر واسبانيا فقد كان سببها اختلاف بين الدولتين فيما يخصّ السيادة على بلاد فلندرة فتأججت عندها نيران الحرب وعقدت لفرنسة ألوية النصر بفضل القائدَين كوندِه وتورين وهما البطلان اللذان تجسَّمت فيهما البسالة الفرنسية . وما مثلُ الدول العظام لدى استحكام الشقاق بينها فيما يخص حقوق كلٍّ منها سوى مثل خصمين يتنازعان على ملك وراثةٍ او غير ذلك . فبعد البحث والتنقيب وابراز البيّنات الواضحة والادلة المقنعة الى تأييد شاهدي العقل والنقل يظلُّ كلٌّ من الخصمين على يقينٍ من حقِّ نفسه وبطلان دعوى خصمه فلا يلبث ان تحتدم هذا الاختلافُ العنيف مرافعةً لدى الحاكم الى ما يتبع ذلك من الخسارات ويجرُّ من البغض والعداوات . وذلك مُتأتٍ عن جهل الحقيقة

فاذا كان من الامور العويصة ان يُزحزحَ احدُ افراد الناس عن يقينه من حق نفسه فليس بأقرب منه منالاً اقناع دولة عظيمة القدر عزيزة السلطان بأنَّ الصواب بجانب خصمها والباطل نصيبها فلا يزال من ثمَّ كلٌّ منهما متشبثاً بما لها من الحقوق فتتأهب لنزال بالسيف ما لم تنله بالادلة والبراهين . وعليه فطالما لا يتيسر لاصحاب

المؤتمرات ان يلاشوا الجهل والضلال من عقول الناس كذلك لا أمل ان ينزعوا السلاح من الايدي ويثبتوا ملك السلام

وقد اتت الحوادث مؤيدةً لما تقدم لأنهُ منذ قام الانسان على الارض لم تضع الحرب قطُّ اوزارها . فاذا قلّبتَ صفحات التاريخ حديثةً او قديمةً تجدها مصبوغة بدم المتحاربين . تضرب صفحاً من تاريخ الاعصر القديمة وحروب الاسكندر وقيصر التي وحدها أودت بحياة الملايين من البشر . ومثلها المغول وجنكزخان وتيمورلنك الذي بنى في العراق برجاً شاهقاً جدرانهُ رؤوس البشر . وكم اشتعل من الحروب التي تشيب لمجرَّد ذكرها وذكر اهوالها ناصية الطفل الوليد في صدور الاسلام واتقدت نيرانها مدةً طويلة في الفرس والعجم وسوريَّة والاناضول ثم امتدت ألسنتها الى مصر والجزائر والاندلس حيث حكّموا السيف في رقاب العباد . وكم ابادت من النفوس والنفائس حرب المائة سنةٍ بين فرنسة وانكلترة حتى اخمدت جذوة نارها القديسة البطلة جان دارك

وما قولنا بالحروب القريبة العهد من زماننا كحروب نابليون الاول التي دوَّخت كلَّ اوربا وأسالت على حدّ السيوف نفوس الشبان رخيصةً الى ان قيل إن الأمهات من حرّ أنفاسهن كنَّ يقفنَ على ممرّ نابليون يتهدَّدنَهُ بالايادي ويكننَّ بغضتَهُ بالصدور الثائرة المملوءة حقداً وضغينة . وما لبثت ويلاتها حتى أُشعلت حرب الجزائر وبطلها الشهير عبد القادر الجزائري الى غير ذلك من الحروب التي تتابعت في العالمين القديم والحديث دون انقطاع في القرن التاسع عشر لاسيَّما الحرب السبعينيَّة بين المانية وفرنسة . وما دخل القرن العشرون حتى شهدنا منذ اوائله اهوال الحروب فدوَّت المدافع في الشرق الأقصى ولمع السيف في طرابلس الغرب وحمي وطيس الحرب في البلقان وناهيك بهذه الحرب العمومية التي ما برحنا نشعر بعقابيلها وقد شوَّهت محاسن الانسانية وقوَّضت صروح المدنيَّة . كأن الحرب قد آلت على نفسها ان تروي الارض بالدماء . وكأن عالمنا هذا هيكلٌ يضحى على مذبحه بالنفوس البشرية في كل ان وآن . ومن العجيب انَّ المرء يكره الحروب وهو لا يزال يذكّي نيرانها ومثلهُ على حدّ ما قال ابو العتاهية :

لا تأمن الدنيا على غدرها كم غدرتْ قبلُ بأمثالكا
أجمعتِ الناس على ذمّها وما ارى منهم لها تاركا

ولسائل يسأل: ناشدتك الله أيّ لجامٌ يستطيع ان يكبح جماح الشهوات ويوقف المطامع البشرية ويكشف جهل العقول فينشر ألوية السلام على المعمور؟ قلنا: لو اراد الانسان ووطّد عزمه على ذلك لما فاتهُ الامر. وإنّ هذا الا بقوة الانجيل

ولا بدع ان كان الانجيل المقدس ينبوع السلام اذ ان السيد المسيح ربُّ كل سلام لا بل هو السلام بعينه حسب معتقد الشعوب القديمة كلها فيه قبل مجيئه. اذ جاء في اساطير الاولين من هنود ومصريين ويونان وفرس ورومان ان تلك الشعوب اجمعت على انتظار رجل عظيم او ملك خطير يصلح ما فسد في البشر وينهض المرء من سقطته ويشرق على المسكونة شمس صلح وامان لن تميل الى المغيب

وذلك الشعور الخفي الجائل في صدور الاجيال الوثنية القديمة كان بمثابة عهد توارثهُ الخلف عن السلف. على اننا نجده اشدَّ وضوحاً في نبوات العهد القديم. منها ما جاء في اشعيا (٩ : ٦): «انهُ وُلد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيرًا إلهًا جبارًا أبا الابد رئيس السلام». وقد وصف هذا النبي حالة الشعوب اذا ما اتخذت تعاليم المسيح دستورًا تأتمر به حيث قال (٢ : ٤): «ويقضي (المسيح) للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سككًا واسنتهم مناجل فلا ترفع أمةٌ على امة سيفًا ولا يتعلمون الحرب من بعد». الى ما هنالك من نبوات متتابعة مثّلت المسيح كملك السلام

وبحقيقة هذه عرفته الكنيسة. وبانجيل السلام بشّر الرسل في اقطار المسكونة. قال القديس بولس (افس ٢ : ١٤ — ١٧): «المسيح هو سلامنا ... جاء وبشّركم بالسلام انتم البعيدين وبشّر بالسلام القريبين». وقد دعا الانجيل باسم انجيل السلام فقال (افس ٦ : ١٥): «البسوا درع البرّ وأنعلوا اقدامكم باستعداد انجيل السلام». ومثل هذه الآيات كثير. وكفى على ذلك شاهدًا ما انشدهُ الملائكة مبشرين بميلاد المسيح العجيب (لوقا ٢ : ١٤): «المجد لله في العلى والسلام للناس الذين بهم المسرّة». هذه اول انشودة ترنّمت بها البشرية في مفتتح عهد السلام وهي هي شعار العهد الجديد ولم تكن حياة المسيح وتعاليمه الا تأييدًا له وعملاً بمنطوقه

اما تعاليم المسيح فتلوح من كلّ صفحات الانجيل المقدس. فانّ من يمعن النظر

بمعانيه يعلم العلم اليقين ان الانجيل منبع الأمن والسلام اللهم اذا طالعها غير مراود في اعماله غير مسدل على عينيه غشاوة الأهواء والاغراض . ولا غرو فان ما القاه السيد المسيح من مواعظ وكرز من تعاليم وسنّ من شرائع نجده منحصراً في مبدأين يكاد الانجيل كله يكون لهما شرحاً وبياناً وتأييداً : اولهما المحبة بما تشمر من إخاء ومسالمة وتأتي الاساءة بالحلم والتغاضي عن الذنوب ومحبة الاعداء . وثانيهما مبدأ قهر النفس وكبح شهواتها . فاما المحبة فقد ابلغها المسيح الى درجة لم تخطر على بال احد من الشارعين القدماء حتى موسى النبي . فانه عزّ وجل لم يستثن الاعداء انفسهم من محبة القريب بل قضى صريحاً بحبتهم حيث قال : « قد سمعتم انه قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم وصلّوا لاجل من يعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه يطلع شمسه على الاشرار والصالحين . . فانكم ان احببتم من يحبكم فاي اجر لكم ؟ أليس العشارون يفعلون هكذا وان سلّمتم على اخوانكم فايّ فضل عملتم اليس الوثنيون يفعلون ذلك » (متى ٥ : ٤٣)

وعليه لن يفوتَ ذوي البصائر النافذة ان مسببات الحروب والفتن في كل آن واين على تعدد اشكالها تنحصر في مخالفة لهذين المبدأين إمّا تعدٍّ على حقوق الناس صادر عن البغض والازدراء والضغينة واماً ركوب النفس هواها طمعاً كان او كبراً او طلباً للملذات الى ما شاكل من الشهوات التي اخذ الانجيل على نفسه اطفاء نيرانها المتقدة . واذا ما اردنا ان نذكر ما ورد في الانجيل عمّا نحن في صدده لطال بنا الكلام فنجتزئ باليسير فيه مما يسترق الاسماع ويقنع الألباب . فانه تعالى حتم بالغفران للمسيء « لا الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات (متى ١٨ : ٢٢) » اي دائماً بلا انقطاع وأوصى بأن لا تغرب الشمس على أحد وهو غضبان على اخيه بل يدع قربانه إنْ تذكّر أنّ اخاه واجدٌ عليه فيترضّاه ثم يعود الى تقدمة قربانه (متى ٥ : ٢٤) . ومن وصاياه الى تلاميذه قوله (متى ٥ : ٣٩) : « لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الايمن حوّل له الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخلِّ له رداءك ايضاً ومن سخّرك ميلاً فامش معهُ ميلين »

وقد اختصر ابو الريحان البيروني احد ائمة الاسلام هذا التعليم في كتابه المعنون

« في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ص ٢٨٠) حيث قال: « انها (اي النصرانية) مبنية على الخير وكف الشر من ترك القتل اصلاً ورمي القمصان خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخد من الخد الآخر والدعاء للعدو بالخير والصلاة عليه وهي لعمري سيرة فاضلة » (١)

واما تعليم السيد المسيح في قهر النفس وكبح الشهوات على تعدد اسبابها فسنذكر من الآيات ومن التطويبات الثماني التي لم يخرج مثلها من فم انسان فقد قال ونعم القول: « طوبى للمساكين بالروح . طوبى للحزانى . طوبى للجياع والعطاش الى البر . طوبى للرحماء . طوبى للانقياء قلوبهم . طوبى لفاعلي السلام . طوبى للمضطهدين من اجل البر » الى غير ذلك من الآيات والمبادىء التي تميت اهواء من يتبعها وتكسر النفس عن شهواتها والتي يأمن معها الشعوب والملوك العثرات في ورطة الحروب اذا ما تقوها بسرعة وارتياح فأدخلوها في مواثيقهم وشرائعهم

واي مثل اصح واصدق من مثل المسيح اذ بكت اثنين من تلامذته الذين طلبا من [illegible] يعاقب اهل مدينة لم يقبلوه نبياً . وقد اقبل على مار بطرس باللام ومنعه عن إعمال السيف في [illegible] من وثبوا عليه ليقادوه الى الموت . ولم يكتف بالكلام بل اعطانا في شخصه احسن مثال اذ غفر لاعدائه من على الصليب وصلى من اجلهم الى [illegible] غير ذلك من الاعمال التي بها أيد تعاليمه السلمية

ولم تفت هذه الحقيقة [illegible] يرة من هو بلا امتراء احد امراء الشعر المصري احمد شوقي بك اذ قال في قصيدته لاندلس الجديدة :

عيسى سبيلك رحمة ومحبة في العالمين وعصمة وسلام
ما [illegible] سفاك الدماء ولا امرءاً هان الضعاف عليه والايتام

فيا طالبي [illegible] والسلام والصلح العام نعم ما تطلبون لكن لا يدخلن عن الباب كما قال الشاعر

اذا ما اتيت الامر من غير بابه ضللت وان تقصد الى الباب تهتد

و [illegible] نا باب السلام الانجيل

---

(١) عن كتاب اثبات الوهية المسيح للأب ل . شيخو (وجه ٨٣)

فمن تهذَّبت نفسه على تعاليم الانجيل وجعل القراءة صراطاً يسير عليه غدت نفسهُ اسمى من ان تطالها يد المطامع السافلة واضحت ارادتهُ ارسخ من ان تتداعى مبانيها عند هبوب انواء الشهوات فتتحول عن حب الاستئثار والاستبداد الى التطبُّع باكرم طباع الإخاء والمسالمة الحقَّة. واذا تخلَّق بهذه الاخلاق الرئيس والمرؤوس والرفيع والوضيع والكهل والوليد عمَّ الوئام. اجل ان الانجيل هو الطبيب المؤاسي لأدواء البشرية اذ يستأصل من اعماق القلوب جراثيم الطمع والظلم والاغتيال ويقتلع اصول التنافس والمنازعات. فاذا ما خفقت راية الانجيل فثمَّ خفقت راية السلام

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ الحديث والتوراة

رأيت كم روى العرب في عهد الجاهليَّة واوَّل بزوغ الاسلام من الحِكَم التي استفادوها من الاسفار المقدَّسة. ولنا على ذلك شاهد آخر في الاحاديث النبويَّة التي رواها اقدم المحدّثين عن نبيّ الاسلام ننقل بعض ما وقفنا عليه منها فيظهر للقرَّاء الكرام كم كانت شائعة في ذلك الوقت التعاليم النصرانيَّة. وفيه برهان جليّ على كون التوراة واسفار العهدين القديم والجديد كانت منذ زمن الجاهليَّة واوَّل الاسلام معرَّبة وان لم نعرف ماذا جرى لتلك التعريبات القديمة راجع (في المشرق ٤ : ٩٩ — ١٠٨) مقالتنا المعنونة «نسخ عربيَّة قديمة في المشرق من الانجيل الطاهر». امَّا ما ترويه هذا من الحديث فقد وجدناهُ في مجاميع المحدّثين الاثبات كصحيح الامام البخاري

(+ ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م) وصحيح مسلم بن الحجاج (+ ٢٠١ هـ = ٨٧١ م) وفي جامع ابي عبد الرحمان النسائي (+ ٣٠٣ هـ = ٩١٥) ومحمد بن ماجه القزويني (+ ٢٧٣ هـ = ٨٨٧ م) وابن عيسى الترمذي (+ ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) وقد وفّر علينا السيوطي في كتاب كنوز الحقائق وفي الجامع الصغير (جص) وشرحه للمناوي (من) ذكر كلّ محدّث بمفرده واشار اليهم بحروف اصطلح عليها بعد كلّ حديث (خ) البخاري (م) مسلم (ت) الترمذي (ن) النسائي (ه) ابن ماجه ثم اننا سنذكر كلّ حديث كما رواهُ اصحاب الحديث ونرسم بازائه ما وافقهُ من آيات الكتب الكريمة مباشرةً بالعهد العتيق ثم الكتب التاريخية ثم الحكمية ثم النبوات ومن بعدها العهد الجديد اي الانجيل والرسائل

سفر التكوين (تك)	الحديث
خلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقهُ (تك ١ : ٢٧)	خلق الله آدم على صورته (جص ٤٠٢ من نسختنا المطبّعة) = لا تقبّحوا الوجه فانّ الله خلقهُ على صورة الرحمان (من ٢٩٢)
انّ الله جبل الانسان تراباً من الارض (تك ٢ : ٦)	خلق الله آدم من تراب (جص ٧٣)
غرس الرب الاله جنّةً في عدن (تك ٢ : ٨)	انّ الله بنى جنّات عدن بيده (جص ٣٢ من ٢)
وروي في الفصل ١٨ من سفر التكوين ذكر ضيافة ابرهيم الربّ المتجلّي لهُ في صورة ثلاثة رجال	كان اول من اضاف الضيف ابرهيم (جص ١١٣)
رأى الله انّ جميع ما صنعهُ هو حسن جداً (تك ١ : ٣١)	كلّ ما خلق الله حسن (جص ١١٢)
ولدَ نوح ساماً وحاماً ويافث (تك ٥ : ٣٢)	ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث (جص ١٧٨)

سفر الخروج (خر)	الحديث
أكرمْ اباك وامّك لكي يطول عمرك في الارض (خر ٢٠ : ١٠) وفي تثنية الاشتراع (٥ : ١٦) : أكرمْ اباك وامّك لكي	انّ الله تعالى يزيد في عمر الرجل ببرّ والديه (جص ١٠٠) = من برّ والديه طوبى له

تطول ايامك = وفي سفر الامثال ٢٣ : ٢٢) : اسمع لأبيك الذي ولدك	له زاد الله في عمره (جس ١٥٠) = أطع أباك (جس ١٨)
مَن ضرب اباهُ او امَّه فليُقتَل قتلًا (خر ٢١ : ١٥)	مَنْ ضرب والدَيه فاقتلوهُ (جس ١٥٤)

سفر الاحبار (اح)

	الحديث
لا تُبِتْ أجرةَ الاجير عندك الى الغد (اح ١٩ : ١٣) . ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٥) : أجرةَ أجيرك لا تُبقِ عندك ابدا. كلّ من خدمك بشيء فأوفه اجرتَهُ	أعطوا الأجير أجرتهُ قبل ان يجفَّ عرقُهُ جس ٦١ من ١٩) = أوفُوا الاجير أجرتَهُ (من ٥٠)
إن تغشَّى رجلٌ بهيمةً فليُقتَل قتلًا . والبهيمة ايضاً فاقتلوها (اح ٢٠ : ١٥)	من أتى بهيمةً فاقتلوهُ واقتلوها معهُ (جس ١٤٦)

سفر تثنية الاشتراع (تث)

	الحديث
انّ الربَّ هو الاله ليس إله سواهُ (تث ٤ : ٣٥ و ٣٩) = ومثلهُ في الملوك الثالث (٨ : ٦٠) الخ	لا اله الّا الله هي الموجبة (جس ١٨٠) = السيِّد هو الله (من ٨٧)
ملعون من يُضِلُّ اعمى عن الطريق (تث ٢٧ : ١٨)	لعن الله من أكمهَ الاعمى عن السبيل (من ١٣٠)
ملعون المستخفّ بأبيهِ وامّهِ (تث ٢٧ : ١٦)	ملعون مَنْ سبَّ اباهُ . ملعون من سبَّ امَّهُ (من ٤٠٦)

سفر يشوع (يش)

	الحديث
قال يشوع : يا شمس قفي . . . فوقفت الشمس الى أن انتقم الشعب من اعدائهم (يش ١٠ : ١٢ – ١٣)	ما حُبِست الشمسُ على البشر قطّ الّا على يشوع بن نون (من ٢٨٩)

سفر الملوك الاوَّل (مل)

	الحديث
انَّ الانسان انّما ينظر الى العينين واما الربّ فانّهُ ينظر الى القلب (١ مل ١٦ : ٧)	انّ الله لا ينظر الى صوركم واموالكم انّما ينظر الى قلوبكم واعمالكم (جس ٦٧)

سفر اخبار الايام (اخ)

انت وحدك تعرف قلوب بني البشر (٢ اخ ٦ : ٣٠)

انك تزكي البار وتعطيه بحسب بره (٢ اخ ٦ : ٢٣)

الحديث

علم الباطن سرّ من اسرارهِ عزّ وجلّ وحكم من احكامهِ (من ٢٧٩)

انّ الله لا يضيع أجرَ المحسنين (غ ٣ : ١٩٠)

سفر طوبيا (طب)

الصَّدقة تنجّي من كل خطيئة (طب ٤ : ١١)

الصدقة تمحو الخطايا (طب ١٢ : ٩)

الذين يعملون المعصية والاثم هم اعداء لانفسهم (طب ١٢ : ١٠)

الحديث

الزكاة طهور من الذنوب (جس ٨٣)

انَّ المجنون المقيم على معصية الله (مز ٤٠)

سفر أيوب

الذين يحرثون الاثم ويزرعون الشقة هم يحصدونها (أيوب ٤ : ٨) . ومثلهُ في سفر الامثال (٢٢ : ٨) : من زرع الظلم يحصد السوء . وفي ارميا (١٢ : ١٣) : زرعوا حنطةً فحصدوا شوكاً

المنافق لا يقوم امام الله (أيوب ١٣ : ١٦)

الحديث

قال داود يا زارع السيئات انت تحصد شوكها وحسكها (جس ١٠٢) (قد نُسب هذا لداود وليس في مزامير داود آية كهذه)

ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً (في البخاري ومسلم)

سفر المزامير (مز)

جانب الشرّ واصنع الخير (مز ٣٣ : ١٥ و ٣٦ : ٢٧)

علمني يا ربّ طريقك (مز ٨٥ : ١١) = أدلّني يا ربّ على طريق رسومك . . . أسلكني في سبيل وصاياك (مز ١١٨ : ٣٣ – ٣٥) = اسلكهم في سبيل مستقيم (مز ١٠٦ : ٧)

الحديث

إيتِ المعروف واجتنب المُنكر (الجامع الصغير)

ربِّ اغفر وارحم وأهدني السبيل القويم (من ٨) ومثلهُ في سورة الفاتحة : أهدنا الى الصراط المستقيم

تلذَّذ بالربّ فيُعطيك سُؤْل قلبك (مز ٣٦ : ٤)	اذكر الله فانّهُ عونٌ لك على ما تطلب (جس بها من ١٤)
إن كنتَ للآثام راصدًا يا ربّ فمَن يقِف (مز ١٢٩ : ٣)	مَن نُوقِش المحاسبة هلك (جس ١٦١)
انّ ألف سنة في عينيك كيوم امس العابر (مز ٨٩ : ٤) . وفي رسالة بطرس الثانية (٣ : ٨) : انّ يومًا واحدًا عند الربّ كألف سنة	انّ يومًا عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون (سورة الحجّ ٢٢ : ٤٦)
انّ يومًا في ديارك خيرٌ لي من الف (مز ٨٣ : ١١)	رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الف يوم فيما سواه (جس ٢٣٧)
رأس الحكمة مخافة الربّ (مز ١١٠ : ١٠) = وكذا في الامثال (٩ : ١٠) وفي ابن سيراخ (١ : ١٦)	خشيةُ الله رأس كلّ حكمة (جس ٣٠٢) = رأس الحكمة مخافةُ الله (المسعودي ٩ : ١٦٨) = رأس الحكمة معرفة الله (جس ٧٦)
الصدّيقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد (مز ٣٦ : ٢٩)	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي الصالحون (سورة الانبياء ١٠٥)
يا ربّ من يحلّ في مسكنك . . . السالك بلا عيب وفاعل البرّ والمتكلّم بالحقّ في قلبه والذي لا يغتاب بلسانه (مز ١٤ : ١–٣)	قد افلح مَن أخلص قلبهُ للايمان وجعل قلبهُ سليمًا ولسانهُ صادقًا ونفسهُ مطمئنّة (جس ٢١١)
الربّ رؤوف كثير الرحمة لا على حسب خطايانا عاملنا ولا حسب آثامنا كافأنا (مز ١٠٢ : ٩–١٠)	عفو الله أكبر من ذنوبكم (جس ٣٧٧)
أيّام سنينا سبعون سنة ومع القوّة ثمانون سنة وتكدّها انّما هو عناء (مز ٨٩ : ١٠)	اعمار أمّتي بين الستّين والسبعين (ح) قال الشعبي : مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علّة (العقد الفريد ١ : ٢٣١) ومثلهُ قول التميمي (البيان للجاحظ ٣ : ١٠٨) :

وانّ امرءًا قد سار سبعين حجّةً — الى منهلٍ من ورده لقريبُ
اذا كانت السبعون سنّك لم يكن — لدائك الّا ان تموت طبيبُ

سفر الامثال (مث)	الحديث
من يرحم الفقير يُقرض الربّ (مث ١٩ : ١٧)	انّ الصدقة تقع في يد الله (جس ٣٧)

مُسايرُ الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهّال يصير شريراً (مث ١٣ : ٢٠)	المرء على دين خليله فلينظر المرء من يُخالل (تر ١٦٤) = إيّاك وقرين السوء فانّك به تُعرَف (جس ١٥٣)
الذي يسودُ على روحه أفضل ممّن يأخذ المدن (مث ١٦ : ٣٢)	ليس الشديد بالصُّرَعة انّما الشديد من يملك نفسهُ (خ ا ن) = افضلُ الجهاد ان يجاهد الرجل نفسهُ وهواهُ (جس ٦٥)
الموت والحياة في حكم اللسان (مث ١٨ : ٢١)	البلاء موكّل بالمنطق (جس ١٦٨)
الانسان المُطيع يتكلّم كلام المنتصر (مث ٢١ : ٢٨)	من اطاع الله فاز (من ١٤٨)
الاخ امنع من مدينة محصّنة (مث ١٨ : ١٩)	انّ المرء كثير بأخيه (جس ١١٠)
ككلبٍ عائد على قيئه هكذا الجاهل المكرّر سفهه (مث ٢٦ : ١١) ومثلهُ في رسالة بطرس الثانية (٢ : ٢٢)	العائد في صدقته كالكلب يعود الى قيئه (البخاري ٢ : ١٢٢)
من يجد المرأة الفاضلة . انّ قيمتها تفوق اللآلي (مث ٣١ : ١٠) = من وجد زوجة صالحة وجد خيراً (مث ١٨ : ٢٢)	زوجة صالحة خيرُ ما كنز الناس (جس ٣١٣)

سفر الجامعة (جا)

سفر الجامعة (جا)	الحديث
انّ البشر لا يعلمون احبّاً يستوجبون أم بغضاً (جا ٩ : ١)	عجبتُ لطالب دنيا . . وهو لا يدري أرَضي عنهُ ام سَخِط (جس ٣٧)
انّ الله سيُحضِر كلّ عملٍ الى الدين على كلّ خفيٍّ خيراً كان او شرّاً (جا ١٢ : ١٤) ومثلهُ في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس (٦ : ٨)	من يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يرَهُ ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يرَهُ (خ ٣ : ١٦٦)
لكلّ امرٍ أوان ولكلّ غرضٍ تحت السماء وقت (جا ٣ : ١)	لكلّ شيءٍ ميقاتهُ (من ١٥٨) . ومثلهُ للشاعر :

وللامور مواقيتٌ مقدّرة   وكلّ امرٍ لهُ حدٌّ وميزانُ

وقال ايضاً :

فاذا الشيء اتى في وقته   زاد في العين جمالاً لجمالِ

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

منشوران رعائيان

لنيافة القاصد الرسولي السيد فردينانو جنيني ولسيادة المطران اغناطيوس مبارك

قد نشرت جريدة البشير تعريب منشور نيافة القاصد الرسولي في بعض اعدادها وروت خلاصة منشور السيّد اغناطيوس مبارك مطران بيروت المارونيّ وفي كليهما ما يرفع بالنظر في بدء هذا الصوم المبارك من دنايا الارض الى اعالي طبقات الروح ليعزز المؤمنون في قلوبهم تعاليم الكنيسة الخلاصيّة ويميلوا بأفكارهم الى الخيرات الثابتة التي وحدها تستطيع ان تمنح السلام للافراد والعيال كما للدول والممالك . فنحثّ كلّ قرّائنا على مطالعة المنشورين واحراز معانيهما الدرّية

Le Transsaharien et le premier Transafricain par V. Schewisch — **Note annexe**, *Tunis*, 1916, pp. 180 + 47 *avec Schémas et Cartes.*

السكّة الحديديّة القاطعة الصحراء الفرنسويّة والسكّة الاولى القاطعة لقارة افريقية

انّ الحرب الاخيرة كانت اقتصاديّةً اكثر منها دوليّة فانّ المانية لم تبغها الّا لتوسيع معاملاتها وترويج تجارتها . واذ دارت اليوم عليها رحى الحرب تفكّر الدول الاتفاقيّة بتمكين نفوذها الاقتصادي . وليس لذلك طريقة أَولى من انشاء السكك الحديديّة . وهذا ما تسعى به فرنسة خصوصاً في مستعمراتها الافريقيّة . وقد عرض عليها بعض المهندسين رسوماً ليقضي ارباب الامر بتنفيذها منهم صاحب هذا الكتاب الذي نحن بصدده فهو يبيّن انّ افضل خطّ تُمدّ فيه السكك الحديديّة حاضراً واقصرها مسافةً واكثرها ارباحاً وانفعها للدول المتحالفة كلّها اعني فرنسة وانكلترة وبلجيكة هو الخطّ الجامع بين شمالي افريقية وجنوبيا قاطعاً بلاد الصحراء كما وصفهُ المهندس سولار (Souleyre) ومن خواصه انهُ يضمّ كلّ المستعمرات الفرنسويّة الى بعضها ويجعلها تحت حكم الدولة لا يفصلها عنها سوى

البحر المتوسّط بين مرسيلية والجزائر . فلا بدَّ ان يعير الاختصاصيون بالاً هذا المشروع الذي تظهر فوائده لاوّل وهلة

ل. ش

D^r Theobald Fischer : Mittelmeerbilder gesammelt zur Kunde der Mittelmeerländer, 2^te *Aufl. besorgt von D^r A. Rühl*, *Leipzig*, *Teubner*, 1913, in-8, pp. 472.

مجموعة ابحاث في البحر المتوسّط والبلاد المجاورة له

هذه المجموعة تحتوي مقالات متعدّدة وضعها احد كبار الباحثين عن البلاد الواقعة في جوار البحر المتوسط ألا وهو الدكتور الالماني تيوبلد فشر الذي خصّ حياته في درس تلك الاقطار وله في تعريف ظواهرها الجوّيّة مقالات اجماليّة لم يُسبَق اليها وذلك في مجلّة بترمان (Mittheilungen Petermann's, 1879) . امّا محتويات المجموعة هذه فهي دروس مختلفة نشرها في مدّة مجلّات بين السنتين ١٨٧٢ و١٩٠٥ وكان جمعها لاوّل مرّة سنة ١٩٠٥ فاقتضى رواجها إعادة طبعها بعد موته فقام بذلك الدكتور روهل وقسم تلك الدروس على خمسة اقسام: القسم الاوّل منها عموميّ يتناول كتابات شتّى يليه اربعة اقسام فيها ابحاث المؤلف عن فلسطين ثمّ عن ايطالية ثمّ عن اسبانية واخيراً عن شمالي افريقية اعني تونس والجزائر ومراكش . وهذه الابحاث تدلّ على سعة علم صاحبها ودقّة نظره وقد استحسنّا منها كتاباته عن فلسطين في السنة ١٩٠٤ ، وقد اجاد في مقالته عن النخل وزراعة اشجارها وما لغرسها من المقام في انحاء الشرق مادّيًا وادبيًا ، وكذلك اعجبتنا مقالته في استنباط الركايا والآبار في بلاد الصحراء القاحلة . على انّ هذه الدروس مع كثرة فوائدها الجغرافيّة سوف يحتاجها بعد الحرب ما يقضي بتحوير عدّة امور لم تعُد تنطبق مع آراء الكاتب

الاب ج. لانك

1° Moris R. Cohen : Du Sionisme: Libéralisme ou Régime de la Tribu, *Paris s. d. pp.* 19 = **2° Cheikh Youssef El-Khazen :** L'Etat Juif en Palestine, *Paris s. d. pp.* 24 = **3° Négib Moussalli:** Le Sionisme et la Palestine, *Genève*, 1919, *pp.* 54.

ثلاثة كراريس في الصهيونيّة لموريس كوهن والشيخ يوسف الخازن ونجيب موصلي

بين المشاكل العديدة التي فتحت بابها كلمة الرئيس ولسون بخصوص استقلال

الجلسات قد خصَّ كثيرون من اصدقاء اليهود مسألة الصهيونية بنظرهم الشرق واخذوا يطيلون فيها ويؤمّرون جارين على آثار هودور هرتسل الاسرائيلي اول من اشاع فكرة في تخصيص فلسطين بسكنى اليهود وبسط ايديهم عليها . ومن العجب العجاب انَّ بعض الدول كاميركا وانكلترة انحازت الى هذا الرأي وجعلت تسعى في اخراجه الى عالم الوجود ولعلَّ تلك الدول لم تفعل الا لتحلّ المسألة الصهيونية في بلادها وقد احسَّت بوطأتها منذ نحو خمسين سنة فرأت أنَّ تمليك اليهود لفلسطين احسن حلّ لعقدة ذلك المشكل وانَّما خدعت بسراب فان حقوق المسلمين والنصارى على فلسطين قد ثبتت منذ مئين من السنين لا تستطيع الدول ان تزيلها بضربة قلم . وكم هنالك من المسائل المتعددة التي يستحيل فضُّها على الساسة المحنّكين فضلاً عن المتشدّقين الذين ينظرون الى الامور سطحياً كوريس كوهن صاحب الكرّاسة الاولى التي عنوانها آنفاً . وقد تبيَّن الامر بنظرها الصيب الشيخ يوسف الخازن والاديب نجيب موصلي وكشفا عن تلك المشبات فعنون الاول كتابة بالدولة اليهودية في فلسطين والثاني بالصهيونية وفلسطين وتتبَّعا اقوال من جنح الى تمليك اليهود على فلسطين فبيّنا بادلة لا تُنقض ما في تلك الاقوال من الشبهات والسفسطة بل ما تحتها من الدسائس والاخطار التي يجب تلافيها على من يطلب سلاماً ثابتاً . ولعلَّ صالح اليهود تنبيهم بتاتي إجراء ذلك المشروع فضلاً عن الرأي العام

ل . ش

مطبوعات شكري افندي الخوري اللبناني

محرّر جريدة ابي الهول

١ً في سبيل الوطن (١٩١٥ ص ٦٤) . ٢ً قنبلة صغيرة (١٩١٣ ص ٥٢) . ٣ً في سبيل الحقيقة (١٩١٣ ص ٢٤) . ٤ً سيف ذو حدين (١٩١٣ ص ٣٥) . ٥ً جرابنا سيد الخيال (١٩١٢ ص ١٢) . ٦ً سجل لا يمحى (١٩١٩ ص ٣٩) . وكلها مطبوعة في مطبعة ابي الهول في سان باولو البرازيل

كانت الحرب الاخيرة المشؤومة قطعت عنا اخبار صديقنا وتلميذنا القديم محرّر جريدة ابي الهول وحرمتنا مطالعة تآليفه الجامعة بين الهزل والجد بين الفكاهة والافادة . فأحبَّ ان يعوض عن ذلك النقص فاتحفنا بهذه التآليف الستة المرسلة مع سنوات

الحرب . فالاولى منها خصّها بوصف رحلته الى الارجنتين والاوروغواي فافادنا عن احوال اهل الوطن المهاجرين وما نالوا هناك من الترقّي المادّي والادبيّ = وفي تأليفه الثاني « قنبلة صغيرة » وافق الاسمُ المسمّى فقد وجدنا تلك القنبلة الصغيرة قد اصابت بانفجارها كاتباً خان الوطنَ بما حرّره في جريدة المثاني المطبوعة في سان باولو . والكاتب المذكور قد عرف قرّاء المشرق تطرّفهُ بردودنا سابقاً على مزاعمهِ الباطلة وهو قيس لبكي . على أنّنا نفضّل السكوت عنهُ اليوم وقد توفّي في العام الماضي رحمهُ الله . لكننا نشكر الشكر على ما كتبهُ في حقّنا بمدافعتهِ عن رهبان رسالتنا ومشروعاتها الوطنيّة = ويجوز ان يُدعى تأليفهُ الثالث « في سبيل الحقيقة » قنبلةً كبيرة الفم بها حرّر جريدة البريد الذي حاول الدفاع عن تركيا واصحابها بينما كانت تذرف دماء مواطنيه في لبنان وسورية = هذا ولم يحكم كاتبنا شكري افندي رمي القنابل فقط لكنّهُ ايضاً يُحسن المجالدة بالسيف فانهُ « بسيفهِ ذي الحدّين » طعن طعنة اليمة خائناً آخر للوطن صاحب جريدة اميركا الذي نسي كلّ فضل دولة فرنسة مع بلادهِ ليدعو اليها دولة أُخرى لا ناقةَ لها فيها ولا جمل = ثمَّ ألحق هذا التأليف بكرّاسة لطيفة « جبلنا سيّد الجبال » تغنّى فيها بمحامد لبنان ودافع عن استقلالهِ تحت حماية دولة فرنسة = واتبعها بمقالة اخيرة مسهبة أبكم فيها افواه الماكسين ألا وهي المدوّنة « بسجلّ لا يُمحى » التي روى فيها اقوال معظم جرائد اميركا التي اتّفق كتبتها معهُ في طلب حماية فرنسة . وناهيك بهِ دليلاً على حسن نظر شكري افندي وخلوص نواياه في سبيل وطنهِ لبنان جارياً منذ نشوء جريدة البي الهول على خطّة واحدة لم يثنهِ عنها تهدّد الاتراك وسفاسف المتشدّقين . وقد اضاف الى حسناتهِ هذه سعيةً مع بعض الوطنيين باقامة تمثال لغبطة السيّد البطريرك مار الياس حويك لما اداه من الخدم المشكورة لهذا الجبل العزيز ل . ش

الحرب العموميّة او رحى الحرب

من نظم الاديب يوسف الخوري البشعلاني (بيروت المطبعة اللبنانيّة

قصيدة مخمّسة رفعها ناظمها الى غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة أودع ــــ ما جرى في خمس سنوات الحرب فجاءت تاريخاً حسناً لتلك الوقائع التي حدثت وكن

المدنيَّة في قسم كبير من العالم وحرَّكت لبنان عرك الاديم بثقاله . فنشكر الشاعر على نقله الذي يحسن بالناشئة درسهُ واستظهارهُ

البخيل : رواية مضحكة ملحَّنة ذات خمسة فصول

تأليف المرحوم مارون نقّاش (سان باولو ١٩٢٦ ص ١٠٨)

قلنا في كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر (١ : ١٠١) ان المرحوم مارون نقّاش لأوَّل من سعى في سوريَّة بوضع الروايات وتمثيلها فراجت سوقها وقد طُبعت بعد وفاته بهمَّة اخيه المحامي الشهير نقولا النقاش سنة ١٨٦٩ . ومن أفكه تلك الروايات رواية البخيل المعرَّبة بتصرُّف عن موليار الروائي الشهير فاحبَّ الاديبان نجيب نسيم طراد وشكري الخوري تجديد طبعها . فأتقنا العمل بحسن الطبع واضافة الملحوظات عليها وتعيين نغماتها ل. ش

شذرات

المعمَّرون في كاليفرنية من نتائج احصاء الاهلين الاخير في كاليفرنية انَّ المعمَّرين فيها اكثر عددًا من سواها فانهم وجدوا ٣٠٠ من اهلها قد بلغوا السنة المئة من عمرهم فتكون نسبتهم الى عدد سكان كاليفرنية البالغ ثلاثة ملايين نفسًا نسبة الواحد الى ١٠,٠٠٠ . وقد توفي واحد من اهل كاليفرنية من عهد قريب بلغ عمرهُ ١٠٨ سنوات . ومات آخر بين هنود تلك البلاد كان عمرهُ ١٥٠ سنة . وقد ينسبون ذلك الى جودة هواء كاليفرنية واعتدال جوّها وخصب تربتها

اتّقاد الفحم بفعل الظواهر الجوية قد جرت عدَّة حوادث حريق في هذه السنين الاخيرة في مستودعات الفحم فاتَّقدت من تلقاء نفسها واتت باضرار جمَّة فبحث العالم الالماني هنرِكسن (M. Hinrichsen) عن اسباب الامر

فبيّن ان الفحم اذا بقي مدّةً في مستودعه يتأكسد شيئاً فشيئاً وترتفع درجة حرارته حتّى يصيبهُ نوع من الاختمار فيتّقد في بعض الاحيان من تلقاء ذاته . ويزيد خطر الحريق اذا تضمّن الفحم شيئاً من البيريت (pyrites) السريع التأكسد او اذا كان الفحم ناعماً او اختمر بفعل الرطوبة الجوّيّة او تسلّط عليهِ عنصر الاوزون في ايام الانواء . ويستدرك هذا الخطر بأن يكوّم الفحم في الهواء اكواماً متوسّطة ويُصان من المطر بتغطيته وان ينفذ الهواء الى اواسطه

﴿ الحَتّ ﴾ ويقال الكتّ هو نبات المياه ولا سيّما البحار (algues) ينمو في اعماقها ثمَّ تجرفهُ الامواج الى السواحل . وقد تحقّقوا في ايام الحرب الاخيرة اذ نقص علف الخيل انَّ هذا النبات من افضل ما يُعطى لها طعاماً . والخيل اذا اعتادت اكلها سمنت وقويت على العمل . وممّا يجدي الحتّ بعض خواصهِ الغذائيّة الشفائية ما يحتويهِ من عنصر اليود الذي يُشيد اليوم الاطبّاء بمنافعهِ الطبيّة التي سبق لنا ذكرها

﴿ معالجة قِصَر النظر ﴾ قد اخذ قصر النظر يمتدُّ في جهاتنا لضعف الامزجة وانقطاع الشبّان الى القراءة . ومعالجة هذه العلّة باتخاذ النظّارات (العوينات) الّا انَّ بعض الاطبّاء وجدوا دواء انجع لهذا الداء الذي ربّما تفاقم حتى لا تكفي النظّارات لشفائه . وذلك انهم درسوا سبب قصر النظر فوجدوهُ في امتداد كرة العين على خطّ قطرها الى الامام فلا تعود المرئيات ترتسم على شبكة العين بل بإزائها فتضحي الصور كدرة غير واضحة والنظّارات المقعّرة على الوجهين تصلح هذا النقص دون ان تشفيهُ ومع التقدّم في السن يتعرّض الانسان الى العمى التامّ بانفصال الجليدة الصلبة (sclérotique) من شبكيّة العين . اما الشفاء فبأن يُقصر امتداد كرة العين بتسطيح تلك الكرة . واوّل من انتبه الى ذلك الطبيب النساوي هرمان فاتّخذ صفائح من الرصاص كان يجعلها في الليل على عيني العليل . بيد انَّ هذا العلاج لم يأتِ بالنتيجة المأمولة لكنّهُ نهج الطريق لطبيب آخر اميركي جاء الى باريس واعلن لاهلها بانهُ يستطيع شفاء قصر البصر وكان اخترع لذلك مدقّات صغيرة كان يطرق بها كرة العين فيقصر بذلك قطرها وتقترب شبكيّتها من القرنيّة فنال بعلاجهِ هذا نجاحاً كبيراً حتى انهُ شفى كثيرين من علّتهم او خفّف على الاقلّ

تلك العلّة فاصبحوا يقرأون دون نظارات حتّى الشيوخ منهم · وقام مؤخراً طبيب فرنساوي يُدعى روجه دَنْسان (Roger d'Ansan) فاخترع آلة حسنة تتركب على الرأس والاذنين ثم تنتهي بجسمين يُضغط بها الجفنان المطبوقان على العينين ضغطاً تدريجياً وذلك مدة بضع ثوانٍ ثم يخفّف الضغط قليلاً ويُعاد اليه مراراً · ولا يزيد طول العلاج على عشر دقائق ثم يكرَّر مدة وفقاً لمقتضى حال العليل من تقدُّم في السنّ وبلوغ الداء واشتداده · وقد ثبت اليوم نجاح هذا الاختراع واثنت عليه اكادمية العلوم الفرنساوية وتحققت صحته بالتجربة على عدة اشخاص حتى انّ البعض منهم امكنهم ان يقرأوا على مسافة متر و٣٠ سنتيمتراً حروفاً لم يستطيعوا تمييزها قبلاً عن بعد بضعة سنتيمترات

امتحان جديد لدوران الارض · من نواميس علم الطبيعة المثبتة لحركة الارض ودورانها من الغرب الى الشرق ان يُلقى ثقل من علوّ معلوم فاذا بلغ الارض لم يسقط سقوطاً مستقيماً بل سقوطاً منحنياً الى الشرق · وقد اثبت ذلك مؤخراً في مناجم ولاية ميشيغان حيث تبلغ ثلاث آبار يُستخرج منها النحاس عمقاً لا يُعرف لغيرها في العمور منها منجم في كالومت (Calumet) عمقه ١٩٩٠ متراً فعمدوا الى جُلّتين من رصاص ربطوهما بخيط في وسط البئر وابعدوا الواحدة عن الاخرى نحو نصف متر وجعلوا تحتهما على عمق ١٢٨٠ متراً وعاء كبيراً مملوءاً من الصلصال ليتلقى الجلّتين عند سقوطهما فيُعرف بذلك قدر حيادهما ثم احرقوا الخيطين فسقطت الجلّتان وحادت كلتاهما تماماً عن وعاء الصلصال الى الشرق فضاعت الواحدة ووجدت الاخرى في بعض ثنايا البئر شرقاً على عمق ٢٤٥ متراً فكان حيادها عن الخطّ المستقيم متراً واحداً وعشرين سنتمتراً ولولا مقاومة الهواء في سقوطها لقطعت هذه المسافة باشدّ سرعة وزاد عمقها · فكفى به دليلاً على سرعة دوران الكرة الارضيّة في الفضاء خلافاً لزعم القدماء القائلين بثبوت الارض ودوران الشمس حولها

دياميس نصرانيّة جديدة · ليست دياميس رومية وحدها خُصّت بدفن النصارى في القرون الاولى والظاهر ان المسيحيين الاولين في انحاء ايطالية اقتفوا آثار اخوتهم في عاصمة الدولة الرومانيّة فحفروا لهم دياميس مختلفة كانوا يقبرون فيها موتاهم وربما اجتمعوا فيها ليقيموا اسرار دينهم لاسيما ايام الاضطهادات

وقد عرف الاثريون دياميس نصرانيَّة في سيراقوسة من اعمال صقلية وفي نابولي وفي مالطة ومما اكتشف منذ عهد قريب دياميس مدينة بِقَتْرِي الكُشفت سنة ١٩١٣ وفي العام التالي اكتشفوا قرب رومية في مدينة قاي (Véies) دياميس اخرى ذات اسراب عديدة وتصاوير شتى وكتابات جاءت مبيّنة لرقيّ النصرانية في عهد القياصرة قبل قسطنطين فبيّنت هذه الاكتشافات اتساع نطاق النصرانيّة في ايام القياصرة . وجرى ايضاً الشرقيُّون على هذه العادة فان مدينة الاسكندريَّة كانت محتوية على مدفن من هذا الصنف يُعرَف اليوم موقعهُ

﴿ آثار نصرانيَّة في طرابلس الغرب ﴾ منذ احتلّت ايطالية اصقاع طرابلس الغرب اخذ علماؤها يبحثون عن الاثريَّات التي تشتمل عليها تلك البلاد . وبين هذه الآثار قسم كبير من العاديَّات النصرانيَّة المثبتة لرقيّ تبعة الدين المسيحيّ في تلك الجهات وقد اخذوا يجمعون تلك البقايا من كتابات وتماثيل وحليّ شتَّى اودعوها في متاحف أُنشئت لهذه الغاية . ومما اكتُشف في المدّة الاخيرة مقبرتان نصرانيَّتان من القرن الرابع الى السادس وجدوا آثارهما الجليلة في عين زارا وفي الخيلة ليس بعيداً عن مدينة طرابلس . وعلى القبور كتابات فيها اسماء الموتى وبعض آيات الكتب المقدَّسة باليونانية مع تاريخ وفاة المقبورين

﴿ نقل الأبنية من امكنتها ﴾ من جملة عجائب عصرنا نقل المباني الكبيرة من مكانها الى مكان آخر . على انَّ التاريخ يروي عن المهندس البولوني ارسطو دي فيورافنتي (Ar. di Fioravanti) انهُ عالج ثلثة ابراج عالية في بلده بولونية وفي مدينتي جنتو والبندقيَّة فنقلها من مكانها وقوَّم اعوجاجها سنة ١٣٥٥ في مدّة خمسة اشهر . وبقي الامر كسرّ مكتوم الى أن قام الانكليز سنة ١٨٢٤ فنقلوا منارة سندرلند من مكانها الى مسافة ١٨ متراً صوناً لها من عوامل الخراب . وبعد مدّة قليلة عمدوا الى احدى محطات سكّتهم الحديدية الغربيَّة (Great Western Railway) فرفعوا اساسها على علو ٤٥ سنتيمتراً . وما لبث الاميركيُّون على مألوف عادتهم ان جاروا بقيَّة البلاد بأعمالهم الجبَّاريَّة فاخذوا ينقلون المباني الضخمة الواسعة في محلَّات شتَّى فمن ذلك انهم في السنة ١٨٨١ نقلوا في مدينة بوسطن نُزُل بلهام (Pelham Hotel) الى مسافة ٤ امتار وربع والنزل المذكور طولهُ ٢٩ متراً

في عرض ٢١ م وعلوّ ٣٠ متراً وثقله ٥٠٠٠ طن وتمّ ذلك في ظرف ١٣ ساعة فقط لكنّهُ كلّف اصحابهُ ١٥٠،٠٠٠ فرنك . وفي السنة ١٨٨٨ نقلوا نزلاً آخر كان على شاطئ البحر قريباً من نيويورك كان البحر يعمل في اساسهِ فيتهدّدهُ بالخراب . فنقلوه الى مسافة ١٥٠ متراً وسحبوهُ بست آلات من محركات السكك الحديدية . وكان طول هذا النزل ١٥٠ متراً في عرض ١٥ متراً . ومذ ذلك الحين اصبح نقل المنازل في اميركا شيئاً مألوفاً حتى امكنهم نقل بعض المباني على المياه فقطعوا بها من ضفة نهر الى ضفتهِ الاخرى او اجازوها فوق البحيرات

نقل الاطعمة المجلّدة سبق لنا في المشرق (٧ : ٢١٥) ترقّي هذه الصناعة التي فتحت للبشر طرائق مستحدثة للارتزاق . وقد وقفنا اليوم على بعض افادات جديدة تبيّن انتشار هذه التجارة في انحاء المعمور . والولايات المتحدة في هذا القرن المتقدّم والسبق فانّ ولاتها اذ رأوا حاجة حواضرهم الحافلة بالسكان كنيويورك وشيكاغو الى اطعمة والفرة من لحوم واسماك وبقول وثمار لا توجد موفورة الّا على مسافات بعيدة فلا يُستطاع نقلها قبل فسادها طلبوا وسيلة لسدّ هذا الخلل بتجهيز قطارات خاصة تُجلَّد صناعياً وتودع فيها ضروب الاطعمة المبرّدة فتنقل من اقاصي البلاد الى اقاصيها فأتت استحالاتهم بالنتائج المرغوبة وتوفّرت منذ عشر سنوات هذه القطارات حتى بلغ عددها ١١٠،٠٠٠ قطار فراجت اسواق المطاعم في كلّ انحاء اميركا الشمالية وزاد نشاط الفلاحين وباعة المآكل اي نشاط بتبادل مرافق الحياة بين اطراف البلاد . وقد اثّر مثل اميركا في الاوربيين حتى اخذ نطاق حركة نقل الاطعمة المجلّدة يتّسع يوماً بعد يوم . الّا انّ اوربة لا تزال بعيدة عن همّة الاميركيين فانّ عدد القطارات الناقلة للاطعمة المبرّدة في سائر اوربة لا يتجاوز ٣،١٠٠ قطار وكانت فرنسة متأخرة في تلك الحركة حتى تألّفت منذ سبع سنوات شركة خاصة درست درساً تامّاً الادوات الاميركية وزادتها تحسيناً وهي تدعى شركة البرد الفرنسية (Association française du Froid) صارت تنقل ضروب الاقوات السريعة الفساد بعد تبريدها الى كلّ انحاء فرنسة وقد بلغ عدد قطاراتها ٢٠٠ يستطيع كلّ قطار ان ينقل الوفاً من كيلوغرامات اللحم او السمك وغيرهما

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد كم هي مساحة سوريَّة وما هي اصدق احصاءات سكانها في مدنها وعناصرها

مساحة سوريَّة – واصدق احصاءات سكانها

ج معلوم ان الجغرافيين لا يتفقون في اثبات حدود سوريَّة شمالاً . وان اعتبرنا الولايات التركيَّة الثلث بيروت والشام وحلب واضفنا اليها متصرفيَّتي القدس ولبنان تكون مساحتها بالتقريب نحو ٣٩٠,٠٠٠ كيلومتر مربع . وكذلك عدد الاهلين في هذه الولايات والمتصرفيَّتين لا يُعرف بالضبط وانما يبلغ قريباً من ثلاثة ملايين ونصف من النفوس . واخصّ مدنها دمشق عدد اهلها نحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس ثمَّ حلب نحو ٢٠٠,٠٠٠ ثمَّ بيروت نحو ١٥٠,٠٠٠ ثمَّ القدس الشريف نحو ١٢٠,٠٠٠ ثمَّ حماة نحو ٩٠,٠٠٠ ثمَّ حمص نحو ٨٠,٠٠٠ ثمَّ نابلس ٧٠,٠٠٠ . اما بحسب العناصر فالاكثريَّة للمسلمين السنّيين هم نحو مليونين يضاف اليهم نحو ٨٠,٠٠٠ من المتاولة . ثمَّ النصارى فعددهم نحو مليون اكثرهم الكاثوليك منهم الموارنة نحو ٣٥٠,٠٠٠ ثمَّ الروم الكاثوليك الملكيُّون نحو ١٦٠,٠٠٠ ثمَّ السريان الكاثوليك نحو ٢٢,٠٠٠ ثمَّ اللاتين نحو ٢٠,٠٠٠ ثمَّ ارمن كاثوليك نحو ١٠,٠٠٠ ثمَّ كلدان نحو ١٥٠٠ . وبعد الكاثوليك الروم الارثدكس نحو ٢٥٠,٠٠٠ والسريان اليعاقبة ٨٠,٠٠٠ ثمَّ البروتستان نحو ٢٠,٠٠٠ ومن غير النصارى اوَّلاً اليهود نحو ٢٠٠,٠٠٠ ثمَّ النصيريُّون وعددهم نحو ٧٠,٠٠٠ ثمَّ الدروز فعددهم نحو ١٣٠,٠٠٠ في لبنان وحوران ثمَّ الاسماعيليُّون ٢٥,٠٠٠ ثمَّ اليزيديُّون نحو ١٠,٠٠٠ . والباقون اجانب

س سأل احد قسوس البلدة ما هي الامتيازات المسموح بها لاصحاب الرتب الشرفيَّة الممنوحة من الحبر الاعظم كالحاجب البابويّ وكاتب الديوان البابويّ واشباههما

ج انَّ امتيازات هذه الرتب منصوص عليها في الرقيم الرسميّ المرسل من رومية فلا يجوز لصاحبها ان يخصّ نفسهُ بسواها وعليه ان يُطلع عليها رؤساءهُ ل . ش